الشيخ أحمد بن آدب

شيخ المشايخ بكنتة الغربيين وقطب الشعراء

أدي ولد آدب

جمع المدونة وبعض المعطيات:
ذ. الأديب حم بن آدب بن حم



سلسلة التراث الكنتي الوسيمي

أدي ولد آدب

(أدبيات أهل آدب) - (4)

هذا الكتاب

من بين ما يميز هذا الكتاب هو خروجه عن المنهج المألوف في كتب التراجم؛ فبينما وحدتها، فقد عمد فيه الكاتب إلى «تفكيك» نصوص الغير لتتحدث بلسانها عن الذات؛ ذات «الشيخ» أحمد بن آدب شيخ شيوخ كنته الغربيين.

لكن الأكثر أهمية - في اعتقادنا - هو أن الكتاب يعيد طرح مفاهيم «الشيخ» و«المشيخة» و«القطبية» و«القاع» لنقاش جديد، بدءاً من مساءلة التاريخ - ولو بشكل ضمني - عن دواعي حصرها في دلالات ضيقة من جهة، مستفيدا من مسار التداول الخطي الذي أرهد الباحثون في التراث التكراري الغربي من جهة ثانية.

إن تحديد دلالة المفهوم التراثي ومنحه أكثر من سياق، ثم البحث في تعالقاته مع مفاهيم أخرى باتت لفترة طويلة بمعزل عنه، هو بحث في الفكر والتراث والتاريخ، ومفهوم هذا الكتاب يسير في هذا الاتجاه، وإن كان منطوقه سير الأحوار شخصية تحدثت عنها النصوص أكثر مما تحدثت عن نفسها.

ولأن تلك النصوص، عبارة عن نصائح، فقد عدنا بها الكتاب مدونة شعرية، لما تحمله من قيم فنية وجمالية واجتماعية وتاريخية، هي وحدها قادرة على استنبات بحوث ودراسات نقدية تطيلها الأصالة والحداثة والتراث، من جهة، وتفتح صفحات من تاريخ القطر الموريتاني، لا يمكن أن تبقى مغلقة إلى الأبد، ذلك أن النقد التاريخي هو السبيل الأوحد للمصالحة مع الذات، من أجل مستقبل للجميع.

ولأن هذه الكلمة ليست للخوض في الكتاب، ولا نريد لها أن تكون كذلك، فقد أعرضنا قصدا عن العديد من القضايا، نود بها أن نُطلق دعوة للنقاش المفتوح، لكننا في القابل نود أن نشير بكل أريحية للنقاش الموضوعي، أن هذا الكتاب ملك يقول يسكت أبدا، ونحن نعتقد أن هذا السكوت عنه له أوان، لما ملك للورقة أوان. فلا الفروع تسبق المخرج، ولا الجذور الأصيلة المتينة لا تتفرع منها الأغصان!

الناشر



أدي ولد آدب

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال
4834/6 الوحدة 6 الداوديات - مراكش - المغرب - 05 24 30 73 59

الشيخ أحمد بن آدب

شيخ المشايخ وقطب الشعراء

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
– التراث الكنتي البوسيفي –
(أدبيات أهل آدب) – (4)

• الكتاب:
الشيخ أحمد بن آدب
شيخ المشايخ وقطب الشعراء
• المؤلف:
أدي ولد آدب

• عدد الصفحات: 128 صفحة
• مقاس: 16×24 سنتم
• الطبعة الأولى: مراكش 1442هـ/ 2020م
• الكلمات المفاتيح: التراث الكنتي، أدبيات أهل آدب، تراجم، نصوص شعرية
• الحقل المعرفي: الآداب/ / الأدب الموريتاني/ تراجم
• ديوي: 800

رقم الإيداع القانوني: 2020 MO 4425
الرقم الدولي: 5 – 87 – 618 – 9954 – 978

جميع الحقوق محفوظة © 2020– المغرب

الناشر:

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال،
4/ 483 الوحدة الرابعة، الداوديات – مراكش – المغرب
(212) 05 24 30 73 59
www.afaqedit.com
Email: afaqedit@gmail.com

تصميم الغلاف: مؤسسة آفاق – مراكش – المغرب
الطباعة: المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش – المغرب

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال.

سلسلة التراث الكنتي البوسيفي

(أدبيات أهل آدب)

(4)

الشيخ أحمد بن آدب

شيخ المشايخ وقطب الشعراء

الدراسة والتأليف

أدي ولد آدب

جمع المدونة وبعض المعطيات

الأستاذ الأديب: حم بن آدب بن حم

إهداء

إلى الشيخ أحمد بن آدب.. في مثواه الأعلى

إلى

فَتَى.. قدْ بَكَتْه المَكْرُماتُ.. ولمْ يَكُـنْ بَكَاهُ طَريــفٌ.. يَـوْمَ بَـانَ.. ومُتْلَـدُ
هُمَام.. إذا مَا قَــالَ وَاصِـفُ فَضْـلِه: مُضَاهِـيهِ.. لا يُلْـقى.. فلـيْسَ يُفَنَّـدُ
هُمَام.. بِـهِ شَـمْل الفَخَــارِ.. مُجَمَّـعٌ ولكنْ.. بِــهِ شـمْل الثَّــرَاءِ.. مُبَـدَّدُ

كتبه سنة **1944**م- نيابة عنا:
الشاعر المفلق: محمد عبد الله بن عبيد الرحمن العلوي

الفهرس

إهداء 7

أولا: هوية مركبة للشيخ أحمد بن آدب: من المهد إلى اللحد 13

ثانيا: الفتى المولود شيخا 19

ثالثا: رب البيت، وباني الدارين 29

رابعا: ميراث الموسوعية الوهبية: الطفل المولود علَّامَة عَلَما 37

خامسا: سماحة الشيخ: سخاء الروح والراحة 41

سادسا: جامع المشيختين: شيخ الدين، وشيخ الدنيا 47

1- الشيخ الصوفي: تربية الشيخ وشيخ التربية 54

2- الشيخ القبلي: سياسية الزعيم، وزعيم السياسة 63

سابعا: القطبية الشعرية 73

1- وراثتها 73

2- مقوماتها الفنية 75

3- قطب الشعراء، ومدار المشاعرات 82

ثامنا: مختارات من ديوان الشيخ أحمد بن آدب 95

تاسعا: بعض رسائل الشيخ أحمد بن آدب 115

الشيخ أحمد بن آدب

كان يرى مشروع حياته (**الجمْع بيْن الضِّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَنَتَيْن**، والحُصولَ على كِلْتا **السعادَتَيْن**، والفوْزَ بكلا **الفَخْريْن** و**العِزَّتَيْن**، ما لا يُوصلُ إليه، ولا يُحْصل عليه، إلا بمحْض فضْلِ الله وعِنايَته، وبركة التعلق بخاصَّتِه من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه).

قبس من رسالته إلى الشيخ سيدي باب

أولا

هوية مركبة للشيخ أحمد بن آدب
من المهد إلى اللحد

بدلا من المقدمات **"الطللية"** المألوفة، سأحاول هنا رسم صورة مركبة لـ **"الشيخ أحمد بن آدب؛ شيخ المشايخ، وقطب الشعراء"**، بطريقة غير نمطية، تقتبس **ملامح هوية شخصيته المدروسة** من **لقطات** متناثرة هنا، وهناك، وهنالك، **وصفه** وحلاه بها **من رقَّصه** عند ميلاده، **ومن مدحه** في حياته، وحتى **من رثاه** بعد مماته، ليتجلى **المرسم** الذي أشتغلُ فيه كبيرا **واسعا**، يمتد **من المهد إلى اللحد**، وتشتبك فيه **عدة ريشات**، تمتاح ألوانها المتعددة من محابر كثيرة، تضافرت فيها أيادي، وعقول، وعواطف، **فريق من العلماء الفضلاء الشعراء** عبر التاريخ، على **رسم لوحة** من القيم المثالية لشيخ رأوه يستحقها.

فالأبيات الخمسة التي **أنشأها** وأنشدها **عبد القادر (آدب)** بن سيد الأمين البوسيفي الكنتي، **مَثْنَى وثُلاثَ**، في أذن ابنه **الشيخ أحمد عند** مولده، وهدهد بها مهده، هي **المفاتيح السحرية** الأولية التي اكتشفتها لتفكيك بناء شخصيته، وتركيب مقومات مشيخاته المتعددة الأبعاد.

فهو – حسب تنبؤات والده آدب– قد ولد شيخا، بكل معاني الكلمة، حيث نفث في روعه هدهدات شعرية جمعت له – وهو ما يزال في المهد صبيا– بين صفات **"الشيخ"**، و**"نبراس النباريس"** المهتدى به، و**"المعلم"** بكسر اللام، أو بفتحها، ثم **"العالم"**، وصولا إلى **"العَلَّامَة"**، سدرة منتهى أوصاف المعرفة

والعرفان، حاكما له بأنه سيكون مهوى أفئدة الناس، ومحج وفود ذوي الحاجات، وملتمس التخويل المادي، والتقديس الروحي، وبأن مدد عطائه، يفوق مد البحار، وانهمار الأمطار، وأن يمن جود كفه - كعصا موسى- يكسر صخور البخلاء إذا لامستها عطاياه، حتى يصبحوا أجوادا، كما أن بحور العلم تتفجر - لعقول الجهلاء- من راحتيه... وأنه - باختصار الاختصار- هو الفخر الكنتي الكامل الماثل، يمشي بين الناس على قدميه، وأنه فاق الحاضر والغابر من أهله، وقومه...

ثم جاء **أبوه الثاني** وشيخه: أخوه الأكبر: **سيدي ولد آدب**، وكتب له قصيدة **"التربية"** التي جعلها له بمثابة **"جنة المريد، دون المريد"**، وضمَّنها: **"إرشاد السالك لأقوم المسالك"**، ووضعَ له فيها قواعد السلوك، وأُسُسَ الوُصول **إلى** أسْمى المقاصد، عبر أجمل المراصد... راسما له عبرها خريطة طريق استحقاق لقب **"شيخ المشايخ"**، الذي منحه إياه، فيما بعد، قائلا:

مني إلى **شيخ المشايخ** أحمدا.....

أما أخوه **محمد الحوار** الأكبر منه أيضا، فقد اعتبره: **"ثمال اليتامى"**، و**"مشكي الشكاة"**، واعترف له بأنه "هو **الخليفة** منا عز من خلف".

وبعد هذا وذاك قام **الشيخ أحمد** برمي نفسه- ولو من بعيد- بين يدي شيخه الآخر: **الشيخ سيدي باب** بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي الأنتشائي، حفيد شيخ **آدب** والد **الشيخ أحمد**، حيث راسله، كاتبا: «**ومُرَادِي لَفْتَةٌ صَمَدِيَّة**، ممَّنْ قُدِّسَ في أزَل الأزليَّة، برحِمة الرحْمانية... **تنيرُ صدْرِي، وتُنِيفُ قدْري**، وتبلِّغني من كلِّ خيْر، ما دريْتُ وما لا أدْري... ومن أجْل ذلك **أطلُب** منكمْ **الجمْع بيْن الضّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَنَتَيْن**، والحُصولَ على كِلْتا **السعادَتَيْن**،

والفوْزَ بكلا **الفَخْرَيْن والعِزَّتَيْن**، ما لا يُوصلُ إليه، ولا يُحْصل عليه، إلا **بمحْض فضْلِ الله** وعِنايَته، **وبركة التعلق بخاصَّتِه** من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه»[1].

وفي **لحظة** نشوة **فخر** واحدة، **ندَّتْ** من قبضة **تواضع الشيخ**/ الشاعر، خلال **استعراض** بعض **فتوته** أمام **"لَيْلاهُ وميّه"**، قال الشيخ أحمد:

سَـلِي - مَـيّ- السّـنِينَ الغُـبْرَ عنِّـي لـدَى عَـضِّ السِّـنِينَ بِكُـلِّ سِـنِّ

مفتخرا بأنه - في مثل هذه الظروف- يهين خيار المال، ولا تهينه، وأنه تعرفه الأشعار والسُّمَّار، ودَنْدَنَات المُطربين، ونحْر الإبل، وإهداؤها...

ثم لا نجده - بعد ذلك- يصور ذاته إلا في **مقام العبودية**، مسلطا **"نفسه اللوامة"**، على **"نفسه الأمارة"**، ساعيا إلى **"النفس المطمئنة"** وفقا لمنزع أبيه وذويه، واصفا شخصه بأنه:

عبدٌ علا الشيْبُ فوديْه وما كتمَهْ.....

وأنه:

عَبْـدٌ سَـفِيهٌ كفَـاهُ اليـوْمَ أنْ بَاعَـا بـاقٍ بفـانٍ، يَظُـنُّ الـرِبْحَ؛ فانْبَاعَـا

متضرعا:

ألا مَـنْ لعبْـدٍ في الهـوى وقرُونِـهِ بدَا الفجْرُ قُسْـرا مـن ليـالي قُرونِـهِ؟
فلـيْس لـه إلا الإلـهُ، وعَفْـوُهُ وخَلْـعُ رِدَاءيْ لَهْـوِهِ، وَمُجُونِـهِ

أما مادحوه فيصوره أحدهم، بأنه... **هُمَامٌ** يواسِي بالطريفِ، وبالتَّلِيدِ يَرَى **صِلَةَ الوُفودِ** عليْه فرضا، **ويَدْعُو الجَفَلَى**، ويُهْدِي **نداهُ** للقرِيبِ، وللبَعيدِ، وينال **طلابُ الحاجات** عنده، ما شاءوا منْ كرَمٍ وجود، وأنه بذلك **"سادَ القبائلَ** في صِباه، ببَحْر مواهبه الفريد، حتى أصبح **تهش لمدحه** غر **القصيد**.

[1]- هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكتبه من كتاب: **الأخبار** "المدون"، ص 134.

أما محمد محمود بن سيدينا الملقب **"أَفَّافَ"**، فيعْتَبِرُ **محامدَ الشيَّخَ أَحْمَدَ** قد **"عَمَّتْ جميعَ الوَرى** فضْلا وإحْسانا"، وأنه **محيي المَكَارِمِ**، و**مقتنصِ** شريدِ **المَجْدِ.**

(و) إنْسـان عـيْن الـوَرى، في الفضْـل ما إنْ تَرَى مِثْلَهُ- في الفضْلِ- إنْسانا

أما **مؤبنوه** من الفضلاء، والعلماء، الشعراء؛ فلعل **أكثرهم نجاحا** في رسم أبدع صورة له، يوم تولَّى إلى ربه الغفور الرحيم الكريم، هو صديقُه **الشاعر** القدير: مُحمد عبد الله **بن عبيد الرحمن** العلوي، في مرثيته له، حيث **اعتبر الشيخ أحمد** بن آدب **رب المَعَالِي والمَعَانِي**، و**سيْفَ الهِدَايَةِ**، وَ**شَمْسَ العُلُومِ**، و**حامل لِـوَاءِ الدِّيـنِ**، و**حُسَـامَ المَكْرُمَاتِ**، و**سيد أَرْبَابِ المَقَامَـاتِ**، الذي **بكته العلْيَاءُ**، و**التَّقْوَى**، وعِلْمُ **الشَّرْع**، وَمَا قدْ رَوَى أَهْلُ **الحَدِيثِ**، وأسْندوا، **ومَا سَنَّ الجُنَيْدُ** لِحِزْبِهِ إنه:

تَقِـيٌّ.. نَـقِيٌّ.. لا تُضَمُّ لَهُ يَدُ، **مِتْلاف** لمَالِه، و**غَيْثٌ** عَلَى **أَهْلِ الحَوَائِج**.. يهمي، ولا يُـرْعِدُ:

فَتًى.. قدْ بَكَـتْه المَكْرُماتُ.. ولمْ يَكُنْ بَكَـاهُ طَرِيـفٌ.. يَـوْمَ بَـانَ.. ومُتْلَـدُ
هُمَامٌ.. إذا مَـا قَـالَ وَاصِـفُ فَضْلِـه مُضَاهِـيهِ.. لا يُلْـقى.. فلـيْسَ يُفَنَّـدُ
هُمَـامٌ.. بِهِ شَـمْل الفَخَـارِ.. مُجَمَّـعٌ ولكنْ.. بِـهِ شـمْل الشَّـرَاءِ.. مُبَـدَّدُ

إنه **فقيد**.. **اليتامى**، و**الأيامى**، رافد كل **المسترفدين**، **ومكرم الأضياف** عموما، وأضياف الشتاء خصوصا.

أما القاضي الأديب **عبد الرحمن بن بلال** الجمَلِّيّ، فقد قال في رثائه إنه **إمَامٌ**، كانَ **للحاجاتِ مَأْوَى**، وأنه **هادي المهتدين**، و**مردي المعتدين**، **المخبر عن الغيب** منذ صباه، **المؤثر بالحوائج**.. الذي **تَزَوَّدَ** مِنْ دُنَاهُ **بِزادِ تقْوى**، فصار:

تَخَـافُ العُـرْبُ منْـهُ، مـعَ النّصـارَى وتَبْعَـــثُ مـــن مَخَافَتِـــهِ الهَـــدَايا
وكَمْ -مـن غـيْرِ قُـلٍّ- بـاتَ يـدْعُو خَمِـيصَ الـبَطْنِ، أَضْـلُعُه حَنَايَـا

أما **العالم القاضي** الشاعر: **محمد بن الدي** بن أحمد بن سيد الأمين بن مْحمد الطالب اعمر بن خيري **ابن عم الشيخ أحمد** بن آدب، **فيبكي** فيه **منظومة قيمه** المُثْلى؛ فهو **بَقِيَّةُ المجْد**، و**الكَرَم**، و**الشُّكْر**، و**الصَّبْر**، و**الخُلْقِ الجميلِ**، وحُسْنِ **الوفَاءِ**، و**العِلْمِ**، و**الحِلْمِ**، و**السِّرِّ المَصُونِ** عَلَى **صَوْنِ السَّرِيرَةِ**..

والـنَّظْمِ، والنَّثْـر، فِي أعْـلَى بَلَاغِتِـهِ والمِـدْفَعِ، الـدَافِعِ، المِقْـدَامِ، والقلـمِ

وتبقى اللقطة السحرية الأخيرة في رسم هذه اللوحة المشتركة، الراصدة لمنظومة قيم **الشيخ أحمد بن آدب** – ما بين المهد إلى اللحد– بريشة، الأديب **عبد الرحمن بن بلال:**

فلـــو أنَّ المَنِيـــة بالمعـــالي عـــن الأشْراف تُـــدفَعُ، والرَّزَايـــا
لكـــانَ الشـــيْخُ أحْمَـــد ذا حيـــاةٍ مُخَلَّـــدَةٍ، إلى بعْـــثِ البَرَايـــا

ثانيـــا

الفتى المولود شيخا

- **الشيح أحمد بن آدب** (عبد القادر) بن سيد الأمين بن مْحمد بن الطالب اعمر بن خيري البوسيفي الكنتي، آخر العنقود من أبناء **آدب**، (1865 - 1944م)، من أمه **السعيدة** بنت الأمين الجيد البوسيفية، بيت العلم والقضاء والصلاح في **أولاد بوسيف الخضر**، ولد في **"وَزَان"** بفضاء **"أكان"** ربْع عَزَّةِ البُوسيْفيّين وعِزَّتِهم، شمال **"مقطع لحجار"**، وتوفي بحضرته قرية **"النبط"**، في **تگانت**، وقد أطلقت عليه عدة أسماء للتوقير والتدليل، مثل: **لمرابط**، و**الدامي**، و**شيخ أمي**، لكنه أخذ **صفة الشيخ اسما**، منذ ميلاده، وكأن أبويه سمياه بذلك باعتبار ما سيكون فعلا، إذ رأينا والده يتنبأ له بذلك المستقبل الأكبر من مجرد هدهدة طفل وليد في مهده، وكأنه كان يُرَشِّحه باكرا لخلافته في الأسرة، وفي الطريقة، وفي كلِّ الفَضائِلِ، لقد قال فيه:

إليكَ تُضْـرَبُ أكْبَادُ العَطامِـــيسِ[1] يَـا شَـيْخُ أحْمَـد نِـبْرَاسُ النَّبَـاريسِ
تَسْعَى إليْـكَ رُوَادُ الحَـاجِ مِـنْ بُعُـدٍ فَيُفْلِحُـــونَ.. بتخْويـلٍ.. وتقْـدِيسِ

وقال له:

الشيخ أحمدُ.. فخْـرٌ.. حـين يُفْتَخَـرُ مـــا إنْ يُشـــابِهُه بحْـــرٌ.. ولا مَطـــرُ

[1]- **العَطامِـيسِ**: العيطموس من الإبل التامة الخلق، وكذلك من النساء.

بجُودِ يُمْنَاهُ.. جادَ الباخِلُونَ.. كما - مِنْ راحتَيْهِ- بُحُورُ العِلْمِ تَنْفَجِرُ
معلّمٌ.. عالمٌ.. علَّامَةٌ.. عَلَمٌ قد فاقَنا.. وكذا مَنْ قبْلَنا غَبَرُوا.

وقد وصفه أخوه الأكبر وشيخه بعد أبيه سيدي ولد آدب، في أبيات شعرية بلقب: **"شيخ المشايخ"**:

مِنِّي إلى شيْخ المَشَايِخِ أحْمَدا سَلامُ كقرْن الشمْسِ، أشْرَقَ طالعا

كما اعترف له أخوه أيضا **محمد لحوار** بالخلافة بعد موت أخيهما الأكبر **سيدي** بن آدب، فخاطبه في قصيدة يترَضَّاه فيها بأنه: (هُوَ **الخَلِيفَةُ** مِنَّا، عَزَّ مِنْ خَلَف)، رغم أن **محمد لحوار** أكبر منه، بل إن والده **آدب**، بعد تنبئه له بالمشيخة، والسيادة، والعلم والكرم، تنبأ بتفوقه على **"أهل آدب"**، وحتى على جميع أسلافهم الغابرين، حيث قال، في أبياته السابقة: **"قد فاقَنا.. وكذا مَنْ قبْلَنا غَبَرُوا"**.

وهي **فراسة**- في الحقيقة- كانت **تنظرُ إلى الغيْب من وراء ستْر رقيق**، حيث بلغ **الشيخ أحمد** من **المشيخة** الروحية **الصوفية**، والزعامة **السياسية**، والوجاهة **الاجتماعية**، والمكانة **العلمية**، والقطبية **الشعرية**.. أكثر مما ناله أفرادُ العائلة المُتألقون جميعا في مختلف هذه الأوصاف، فكان **نشْرا للفٍّ** هذه الأسرة، وذروة لشهرتها، وقطبا لحضرتها.

وهكذا بدأ **التفاعل** الخلاق- باكرا- بين صفتي **الفتى** و**الشيخ**، حيث تربَّى **الشيخ أحمد** في كنَفِ أبوَيْه وأخَوَيْه، وكان المُدَلَّل بيْنهم جميعا، وقد استقطبته في زهرة شبابه ثلاثية الفتى: الفارس/ الشاعر/ العاشق، الذي يُبْدي فُروسيتَه على صَهَوات الخيْل، وشجاعتَه في المعارك الحتمية في البلاد السائبة، ويتفنَّنُ في الغزل بأميرات الجمال والحسب في المنطقة، إلى درجة أن أخويه: **سيدي**، و**محمد الحوار** كانا يجتهدان في محاولة كفكفة جموحه، حتى ضاق **بنفْسهما اللوَّامة**، فقال يخاطبهما في بواكيره الشعرية: (البسيط).

لو أدْركا أخَوَايَ -الآنَ- ما صنَعا ... بِي الوجْدُ، لم يَدْرِيا حِلْمًا، ولا وَرَعَا
والله لو علِمَا ما قد أصبْتُ به ... فِي ما ظننتُ، لَفِي ما رمتُ قدْ شرَعا
إنْ مَتُّ من أجْلِهِ رُوحيّ تلزمهمْ ... فِي شرْعِ مَنْ قد غدا للشرْعِ قد شرَعا
بَانَ الذين بنَوْا في القلْبِ مَسْكنَهمْ ... وخَلَّفوا الشجْوَ، والأشْجَانَ،
فالعيْنُ، منْ كمَدٍ، تبْكِي، ومنْ أسَفٍ ... والوَجَعا
وكنْتُ فِي وَلَعٍ، والحُبُّ تيَّمَنِي ... والقلبُ، من وَلَهٍ، كأنَّه نُزِعَا
ولامَتِ الناسُ في حُزْنِيّ إثْرَهمُ ... والبَيْنُ- يا ويْلتِي- قد زادَني وَلَعا
ليْتَ العَذولَ الذي بالشَّجْوِ أنْبَنِي ... والحُزْنُ للقلْبِ- يا للناس- قد
قد كانَ يُضحكُني دهْري بقرْبهمُ ... صَرَعا
والفصْلُ، بعْد لذيذِ الوصْل، أجْهَدَنِي ... بِمَا فُجِعْتُ به- منْ بيْنِهِمْ، فُجِعا
وكثْرَةُ المَرْءِ- قد قالوا- بإخْوَتِه ... واليوْم أبْدَلِني، من ضِحْكِيَ، الجَزَعا

ولم يزل هذا الفتى يعلن جموح نفسه، والانقياد لهواه، بكل عناد:

وَلِي أُذُنٌ صَمَّا، عَنِ العَذْلِ، في الهَوَى ... إذا سَمِعَتْ عَذْلًا، فلا سَمِعَتْ نَجْوَى
وعَيْنَانِ عَمْيَاوَانِ، عَنْ نَظَرِ السِّوَى ... وإنْ كانَ قدْ شَطَّ المَزارُ بِمَنْ أهْوَى
إذا هيْمَنَ الرَّعْدُ الحِجَازِيُّ شَاقَنِي ... أو البَرْقُ نَجْدِيًّا، فأغْرَى بِيَ الأهْوَا[2]

ورغم حرص الأخوين على رضا الشيخ أحمد، وإرضائه، الذي يبدو أنه قد كان وصية إليهم من والدهم، فقد **وضع** كبيرهم **سيدي** بن آدب **المحرمات** وحدها **خطا أحمر** تتوقف عنده دائرة مجاراتهم لفتاهم المدلل في كل ما يحب، حيث يهدئ من غلواء تماديه المعلن سابقا في حبه وغزله غير المرضي عندهم، قائلا:

---

[1]- **بَانَ**: نأى وفارقَ. **الشجْو**: الهم والحزن والغم. **الأشْجَان**: الهموم والأحزان. **كمَدٍ**: ذهاب صفاء الوجه من شدة الحزن. **وَلَه**: اشتداد الحزنه الذي يكاد يذهب العقل. **تيَّمَنِي**: أذهب عقلي من الحب. **وَلَعا**: حبا وتعلقا شديدا بالشيء.

[2]- **عَذْلًا**: مبالغة في اللوم. **السِّوَى**: الغير. **شَطَّ**: بَعُدَ.

عَتَبْتُكَ.. فاهْنأ.. لا عِتَابَ.. ألا فاهْنا ومأْتاكَ - أيًّا كانَ- عنْـدي هو الأهْنَا
أُحِبُّ الــذِي أحْبَبْـتَ.. غَـيْرَ مُحَـرَّمٍ وأبغضُ ما أبْغضتَ بالحِسِّ، والمَعْنَى
وأبذلُ.. مَـالِي.. في رضـاكَ.. وكلَّـما حَمَيْتكَ.. لمْ أمْنَعْهُ حِرْصًا.. ولا ضَـنَّا
ولكن.. لأمْرٍ.. لمْ أُكَلَّـفْ.. بنشْـرِه مَغَبَّــتُه محْمُـــودَةٌ.. لَـنْ اسْـتَأْنَى[1]

وفي هذا السياق نجد أخاه الثاني **محمد لحوار** يبالغ في ترْضيته، ومسايرته في جميع تصرفاته المشْروعة، حيث يخاطبه، وكأنه هو الأصغر، والشيخ أحمد هو الأكبر:

سلام مرتهن، بالشـجو، والأسَــفِ حِلْـفِ الأسـى، والبُكـا، والأدْمـع
مُرْضٍ بِـمَا يُشْـتَهَى مِنْـهُ، ومُنْكَسِـرٍ الـــــــــــــــــذُّرُفِ
إلى ثِمال الورَي، مُشْكِي الشُّكَاة، ومَنْ وبالـذي لمْ يكـنْ، وَكـانَ، مُعْتَــرِفِ
وبَعْـدُ فلْـتَعْلَمَنْ أنِّـي وَخالِـقِـنَـا هُوَ الخَلِيفَـةُ مِنَّا، عَـزَّ مِـنْ خَلَـف!
ولا أقـــصِّرُ فِي أَمْــرٍ، تشــيرُ بــه عمَّا يَسُـرُّكَ -مِنِّـى- غَـيْرُ مُنْحَـرِفِ
ولمْ أُفَضِّلْ - بفضْلِ الله- كوْنَكَ عـن وَغَـيْرَ مَـا تَرْتَضِيــهِ لمْ أَقُلْـهُ بــفِي
أمَّـا الفِـرَاقُ فـلا تـنَهضْ رَواحِلــه درْس المدارس، في مَلْهَـاك بـالعزف
فارْحَلْ، بنَا، كُلّنَا، إنْ كنْـتَ مُـرْتَحِلا مَا اعْتِيدَ- قطُّ- فِراقُ الـلّام للْألـفِ
إنَّ المقامَ- بـلا جـدْواكَ- يـا أمَـلِي- أو فَلَـتُقِمْ مَعَنَـا فِي خـيْرِ مُؤْتَلَـفِ

ورغم **فاعلية الرقى** الروحية التي **نفثها** الأخوان: **سيدي**، و**محمد لحوار** ابني آدب، **في روع** أخيهما **الشيخ أحمد**، حتى **أدرك** الفتى مبكرا أن "من يتقي الله البطلْ"، فإن حب الجمال الفطري - بمختلف تجلياته- لم يخب في روحه، فكان - بفطرته - يعشق المنظر الحسن، والصوت الجميل، وتستثير حسه المرهف وشاعريته الأصيلة مختلف مؤثرات الطبيعة، من الترانيم الشجية عموما، وهديل

[1]- **ضَـنًّا**: بخلا. **مَغَبَّـتُه**: عاقبته وآخرته. **اسْتَأْنَى**: تأنى في الأمر وتمهل.
[2]- **الذُّرُف**:السائلة. **الثِّمال**: الملجأ والغياث. **العَنَا**: التعب والمشقة.

الحمام خصوصا، ووسوسة حلي **"صواحب يوسف"**، وحتى عزيف الريح، وهفهفة النسيم العليل، وتخافق البروق في الآفاق، وعلى قمم الجبال، من حوله، وكذلك خرير الماء خلال واحات **"قصر البركة"**، في **"تگانت"**، أيام إعادة تعميره، حيث كان – كما وصفه الشيخ أحمد– **"جنة الأرض"**:

فـذا العـالَمُ العُلْـوِيُّ راضٍ بنـاءَه وذا العـالَمُ السُّـفْلِيُّ جَنَّـةُ عدْنِـهِ

***

والمـاءُ، جـارٍ، حَوَالَيْـهِ، يَهِـفُّ، ومـا في الأرْضِ مِنْ ثَمَرٍ هـا هـي تُثْمِـرُهُ[1]

لقد ظل **الشيخ أحمد**:

تُشَـوِّقُهُ الرِّيـاحُ إذا تغنَّـتْ وتُبْكِيـهِ الطُّلُـولُ عَفَـتْ بَـوَالِي
ويُعْجِبُـه النَّسـيمُ يَمُـرُّ مَـرًّا وتُوحِشُـه الـبُرُوقُ عَـلَى القِـلَالِ
ويُبْكِيـهِ الـتَّرَنُّمُ وهْـوَ مُغْـرًى بقَعْقَعَـةِ الحِجَـالِ مِـنَ الخِـدَالِ[2]

وهو كذلك يرى أن:

أضرّ الـشَّيْءِ بالقلْـبِ العَلِيـلِ هَـدِيلُ الـوُرْقِ تَهْتِـفُ بالهَـدِيلِ
كـذاكَ إذَا يَئِـلُّ الـبَرْقُ وَهْنـا فوَيْـلٌ للعَلِيـلِ مـنَ الأليـلِ[3]

وفي هذا السياق، يناجي حمام واحات **"السمْسِيات"** في **"تجگجة"**، منتجعه الأثير، في زمن قطاف البلح:

حَمَـامَ الشَّمْسِـياتِ أثـرْتَ شـوْقِي حنانـكَ يـا حَمَـامَ الشَّمْسِـياتِ

---

[1]– **يَهِفُّ**: يسرع في سيره. وهف الزرع انتشر.

[2]– **عَفَتْ**: امحت آثارها. **بَوَالِي**: دارسة. **قَعْقَعَة**: تتابع صوت الرع ونحوه. **الحِجَالِ**. الخلاخيل، الخدال: الممتلئة.

[3]– **يَئِلُّ**: البرق يلمع في سرعة.

تَنُـوحَ تَوَجُّعًـا مِـنْ غَـيْرِ دَمْـعِ ونَـوْحِي بالـدُّمُوعِ الـذَّارِياتِ
فإِلْفُـكَ فِي جِـوَارِكَ، فِي غِيَـاضٍ وإِلْفِـي فِي الفَيَـافِي الشاسِـعَاتِ[1]

ثم يفتتح نجوى شعرية أوسع وأعمق مع الحمام المُتَرَنِّم، عبر قصيدة تكاد تُغَنِّي نفسها، لشدة ثرائها الموسيقي:

قَـرَحَ الحَـمَامُ - بـأدْمُعِي- أجْفَـانِي بفُنُـونِ ألْحَـانٍ عـلى أفْنَـانِ
ففنيـتُ إذْ أفْنَـي العَـزاءَ بشـدْوهِ مـا للحَـمَامِ بشـدْوه أفْنَـاني؟
وَعَـلَى الغَـضَى مُـتَرَنِّمًا إذْ جَمْـرُهُ يُذْكِي الأضالِعَ، وَهْـوَ في الأغْصَـانِ
وغَـدَا يُطـارِحُنِي البُكَـاءَ، وإلْفُـهُ دَانٍ، وإلْفِـي - عنْـوَة- أقْصَـاني
فكَـأَنَّنِي بِبُكَائِـهِ أوْصَـيْتُه وَكَأَنَّـهُ- ببُكائِـه- أوْصَـانِي
مـا إنْ لنـا مـن ألْفَـةٍ وتفـاهُمٍ بل نَحْنُ - منْ برْحِ الجَوَى- إلْفَـانِ
يـا قلـبُ، مـا لـكَ وَالحَـمَامَ وَأرْبُعَـا لعـبَ الزمـانُ بأهْلِهَـا فِي الفَـانِي؟
فلـئنْ غـدتْ مَـأْوًى لِغِـزْلَانِ الفَـلَا فِيهَـا- وَرَبِّ البَيْـتِ ذِي الأركَـانِ-
غَازلْـتُ غِزْلانًـا، زَهَـتَ، إنْسِـيَّةً مِـنْ قبْـلِ سـاكِنِها مـنَ الغِـزْلانِ
حِـبٌّ شُـغِفْتُ بحُبِّـهِ، وبوصْـلِه عنِّـي يَضِـنُّ، وَشـوْقُه أضْـنانِي
وَأمَـرَّ أحْيَـانِي بهَجْـر قاتـلٍ مـا ضَرَّ لـوْ -بِوِصَـالِهِ- أحَيَـاني
وأمَـاتَ ذِكْـرِي، لا يُـرَى لي ذاكـرٌ وبـذِكْرِهِ مَعْمُـورَةٌ أحْيَـانِي
خاطَبْتُـه بلسـانِ حـالي شـاكيًا فأجَـابَ بـالأحْزَانِ وَالأَشْـجَانِ[2]

ورغم أن نجوى هذا الفتى مع الحمام لا تكاد تنتهي، فإنه أراد أنْ لا نفهم أن فتوته تختزل، في مطارحته الأشجان والألحان، فهناك نص يتيم في تجربة **الشيخ**

---

[1]- **الذَّارِياتِ**: الريح التي تحرك التراب وتذريه. **غِيَاض**: الأجمة والموضع الذي يكثر فيه الشجر ويلتف.

[2]- **أفْنَانِ**: جمع فنن وهو الغصن المستقيم من الشجرة. **يُذْكِي**: يوقد. **البرْح**: شدة الأذى. **الجَوَى**: شدة العشق التي تورث الحزن. **والأَرْبُع**: أماكن ينزل فيها وقت الربيع. **أضْنانِي**: أهزلني.

أحمد، حمل - ولو بشكل خجول ومختصر- نَفَسًا فخريا بمقومات فتوته، منتقلا من مخاطبة الحمامة المطوقة، إلى مخاطبة "مَيِّ":

أثـارتْ لِي الشُّـجُونَ، بكُـلِّ فَـنٍّ مُطَوَّقَـةٌ عَـلَى فَـنَنٍ تُغَنِّـي
بكتْ، فبكيتُ حينَ بكـتْ، وأذْرَتْ مـدامعَ مُقْلَتَـيَّ، بـلا تَـأنِّ
سـيَظهرُ مَحْـضُ تِـبْرٍ مـنْ نُحـاسٍ إذَا مَـا التِّـبْرُ سُـنَّ عَـلَى مِسَـنِّ
سَـلِي - مَـيّ- السّـنِينَ الغُـبْرَ عنِّـي لـدَى عَـضِّ السِّـنِينَ بِكُـلِّ سِـنِّ
سَـلِي الأمْـوالَ تُفْصِـح -وَيْـكِ- أنِّي أهنْـتُ خِيَارَهـا، مَـا إنْ تُهِنِّـي
سَـلِي الأشْـعارَ، والسُّـمَّارَ وهْنـا سَلِي "تَنْدَيْنَ"- مَيّ- سَلِي "تَـدَنِّ"
سَـلِي يُخْـبِرْكِ عَنِّـي الكُـلُّ كُـلًّا بـذاكَ، وغـيْرَ ذاكَ فـلَا تَظُنِّـي
فـثَمَّ البُـدْنُ تشْـهَدُ لِي، وضـيْفِي ويَشْـهَدُ لِي العَـبَنُّ، مَـعَ الهَـبَنِّ[1]

وحتى بعد، **مشيخته**، وتكاثر مُريدِيه حوْله، وانتشارهم في مختلف الفضاءات الاجتماعية، في مُجْمَل تكَانت، والبراكنة، والحوضين أساسا، كان ينفر من الرياء، والتظاهر بالتدين المبالغ فيه، وتكلف الزهد والدروشة، ويحافظ على بقية فتوة، يهش صاحبها، لمجالس "الأشعار والسُّمَّار"، وسماع دنْدَنات المُطربين "المُهَذَّبَة"، ومعاقرة كؤوس الشاي المعتقة، دون أن يفقد أمله في مغفرة الله، قياسا على صاحب المدفع الذي توكل على الله، ثم أطلق على نفسه رصاصة؛ فلم يمت، حسب الرواية الشعبية المأثورة، وعلى ذلك يقول الشيخ أحمد:

وشَـايٍ بـماءٍ رَنَّحَتْـه غمامـةُ عـلى كـلِّ كَـأْسٍ منْـه تبْـدو عَمَامَـةُ
وبـ "الوَنْدَرِيزِ" الصِّرْفِ أتْقَنَ مزْجَه معَ "التَّلْجِ" مَنْ راقتْ لدَيْهِ الإقامَةُ
وشـادٍ بإنْشـادٍ لشِـعْرٍ مُهَـذَّبٍ بمجْلـسِ أنْـسٍ لـيْس فيـه سَـآمَةُ

[1]- **فَنَن**: غصن مستقيم. **أذْرَتْ**: فرقت كما تفعل الريح بالتراب. **تِبْر**: ذهب خالص. السنين **الغُبْر**: الشديدة. **مِسَنٌّ**: آلة شحذ السكاكين وغيرها. **العَبَنُّ**: العظيم.

يميـلُ إلى وصْـفْ القُـدُود.. وتـارة لوصْفِ خُدودٍ قـدْ علتْهـا القَسَـامَةُ
وبعـدُ، مـنَ الـرحْمن نرْجـو سَـلَامَة فـذو المـدْفعِ المـاضي أتَتْـهُ السَّـلامَة

وفي هذا السياق ~~يداعب أكبر مُرِيدِيه العالم الورع~~ **الجيلي** بن أحمد انبسيف، زاعما أن المريد أكثر مجاهدة ومكابدة من الشيخ نفسه، الذي لا يريد أن يتظاهر للناس إلا بالفتوة والتبسط، والانهماك في **"الإمتاع والمؤانسة"**، تاركا ما بينه وبين الله سرا وخبيئة، لا يعلنهما أبدا، فيقول له:

أضَعْتَ مجَالِسِـي، مْـذْ غِبْـتَ عَنِّـي تُعَـانِي- فِي القَـرَاءَةِ- مَـا تُعَـانِي
عليْهـا صرْتَ مُعْتكِفًـا، فطـوْرا عـلى النَّـوَوِيِّ، ثُـمَّ القسْـطَلَانِي
..... ورَنَّـاتِ المَثالِـثِ، والمَثـانِي
على حسْو الكُؤوس، أقمـتُ دَهْـري وشَدْوِ "ابْرَيْكَ"، معْ ذاتِ الـدُّخَان

وهنا أيضا يقول مُتَقَصِّدًا تجنيسَ القوافي، ولزُومَ ما لا يلزمُ فيها، مع استخدام فنِّ "الزريگة" الشعري المحلي[1]:

هل من كَمِيٍّ "يُكَمِّي" مذْنفا "تاري" لاقـى الهمـوم بأشـفاع وأوتـار
ولا مُـؤَنِّس يلْقـاهُ يُؤنِّسـه لا من قـريضٍ، ولا تحْريك أوْتـار؟

ويجدر بالملاحظة هنا أن **الشيخ أحمد بن آدب**، لم يحاول تقمص دعاوى بعض شيوخ المتصوفة، ومُريديهم، لتبرير أفعالهم الظاهرة المُؤَهِّلَةِ للمُؤاخَذَةِ، بأنَّها "مصْروفةٌ عن ظاهِرها"، ولكنه يلتمَّس تسويغا لتعاطية التدخين، لا يخلو من طرافة، حيث يقول:

ومـا أشربُ الـدخانَ قصْـدَ تكـبُّرٍ ولا أبْتغِي عـن مـنْهَجِ الحَـقِّ منْهَجَـا
ولكـنَّ شـيطانَ الهُمُـوم بصـدْرنا عَصـانَا فـدَخَّنَّا عليْـه ليَخْرُجـا

[1]- الزيگة بكاف معقودة، تنوب عن القاف، هو شعر موريتاني محلي مهجَّن بين ألفاظ العربية الفصيحة، وألفاظ الحسانية الدارجة.

وفي ذلك استلهام لحيلةٍ تُعْمَل -عادة- في إخراج الأفاعي من مخابئها، بإشعال النار في مداخل مغاراتها.

والواقع أن **كيماء تفاعل الفتوة والمشيخة** في شخصية **الشيخ أحمد**، تقوم على ما أكده صديقه الحميم: محمد عبد الله **بن عبيد الرحمن** العلوي، في رثائه إياه:

أولئـك قـوْمٌ كلَّهـم- فِي نَدِيِّـه- أمـيرٌ، وفي محْرَابِـه مُتَعَبِّـدُ

وعلى ما عبر عنه - أيضا- الشاعر محمد محمود بن سيدنا **"أَفَّافَ"**، حين استشفى **للشيخ أحمد** من مرض ألمَّ به، متشوقا مجالسه المعهودة:

طـوْرًا يُـذَكِّرُنِي المَـوْلَى، وآوَنَـةً إلى القَـريضِ، بإنْشـادٍ، وإنْشـاءِ

وعن **خبيئة الشيخ أحمد مع الله** التي يعرفها الجميع، والتي لم تترك تظاهره بالفتوة يقلل من إقبال المريدين عليه، حتى أصبح - هناك- **"شيخ المشايخ"**، بدون منازع، ولا طاعن في أهليته، يقول القاضي **عبد الرحمن بن بلال**، في رثائه:

وكمْ -مـن غـيْرِ قُـلٍّ- بـاتَ يـدْعُو خَمِـيصَ الـبَطْنِ، أضْـلُعُه حَنَايَـا!
تَـزَوَّدَ مِـنْ دُنَـاهُ بِـزادِ تقْـوى ومَـا عَمِـلَ الجَـرَائمَ والخَطايـا

وإلى هذه الخبيئة أشار ابن عمه العالم السني محمد بن الدَّيَّ، في رثائه إياه، حيث سماها مرة ب **"السر المصون"**، ومرة بـ**"صوْن السريرة"**.

ثالثـــا

رب البيت، وباني الدارين

العنونة هنا تعتمدُ "توْريَّة" مَقْصَودةً؛ حيث استلهمتُ- مُتَيَمِّنًا- قولةَ **عبد المطلب**، لأبرهة: **"إن للبيْت ربًّا سيحميه"**، وأنا أعني **بيت الشيخ أحمد** العائلي؛ فمع بوادر التوجيهات الربانية التي تلقّاها الفتى المدلل من أخويه، **سيدي ولد آدب**، و**محمد لحوار**، أخذ يستتب على مدارج السالكين، فغض من تماديه الجامح، الزاعم بأنه لن يرد نفسه عن هواها، مادام الله لم يردها عن ذلك[1]، وأنهما لو شاهدا من يحب لوقعا فيما ينهيانه عنه[2]، وأنه ليس يصد إذا أحب، ولا ينهنهه شيب القذال[3]، فسرعان ما بدأ في **تأسيس بيته** الخاص **المؤسس على التقوى**، حيث تزوج حورية بنت الوداني[4] سليلة أسرة القيادة في أولاد البح، من أولاد سيدي حيبلّ، ورزق منها ببنت سمَّاها: فاطمة، زوجة تلميذه الأكبر والأقرب: الجيلي بن أحمد انبسيف.

---

[1]- يقابل توجيه سيدي له بضبط ميوله النفسية قائلا: بأني لم اردد لنفسي عن هوى...

[2]-

والله لـو علـما مـا قـد أصـبت بـه ... فيما ظننت، لفي ما رمت قـد شرعـا

[3]-

ولسـت أصـد إن أحببـتُ حِبًّـا ... ولا ينهنهنـي شـيبُ القـذال

[4]- ولها يقول:

يَهْـلِي كـان اسـمغت زيَّ ... ول خلگـتْ مُـدَوَّانَ
خَـيْرًا.. ذيـك الا حُـورِيَّ ... بـالغيوانْ، اتـبطْ انْيَـانَ

ثم تزوج بعد بنت الوداني هذه – في الحوض الشرقي– بالبساتية بنت أحمد "شَلَّه"[1]، البوسيفية، ورزق منها بأكبر أولاده، الذي سمَّاه على أخيه "سيدي.

ثم تزوج ربة البيت: خْديجة بنت مْحمد لمحمد شيخ أولاد سيد حيبلْ الكنتيين[2]، في تامورت النعاج، ورزق منها بأبنائه: الشاعر الكبير محمد/ ، والشاعر الفذ آدب، وسيد مْحمد آخر خلفائه، ووارثي سره وبابنتيْه: النانة: زوجة ابن عمه الورع: الخاطر بن أحمد الصغير، ولاله: زوجة الشيخ ولد انَّ الأزرقي الكنتي، زعيم جماعته.

ولعل **خير** ما **وصف** به **بيت الشيخ أحمد بن آدب**، هو **ما قاله**– في ختام رثائه– صديقه الحميم الوفي الشاعر العلوي: محمد عبد الله **بن عبيد الرحمن**، مستدركا إمكانية خلافته المستحيلة: وسد فراغه الواسع الكبير بأبنائه حسب تراتبيتهم العُمْرية:

نعمْ، فبنُوهُ– المُصْطَفُون– بِنُورهم ... سيُطْوَى ظلامُ الجهْل، طيا، ويُطْرَدُ
أتخْشى ضَلالَ الخلْقِ، أوْ حَيْرَةً له ... وهمْ أنْجُمٌ بيْنَ الوَرَى تَتَوَقَّدُ؟
فسَيِّدُ ساداتِ الورى: "سِيدِيَّ" الذي ... إليْهِ جميعُ الفضْل يُعْزَى، ويُسْنَدُ
غدا وهْوَ شمْسٌ، زايَلَ الغيْمُ نُورَها ... وبدْرٌ أخوهُ– المسْتَماحُ– "مُحمدُ"
و"آدبَّ" نِبْرَاسٌ، به يَهْتَدِي الورى ... إذا غابَ نِبْرَاسُ الدُّجى المُتَوَقِّدُ
وأحْمَدُ هذا الخلْق: "سِيد مُحمدٍ ... سيَعْلو على كُلِّ الأنام، ويُحْمَدُ

---

[1] – ولها يقول:

أعَزْ اغْلِيَّه ... هذا خلق الله
لبَيْسَاتِيَّه ... منت أحمدْ شله

[2] – ولها يقول:

فگد الْ تَحْجَلْ ... صامكْ وذْنَيَّ
فگْصرْ كيفْ الْ ... مَا نَسْمَعْ زَلَّيَّ

أولئـك قـوْمٌ كلُّهـم- فِي نَدِيِّـه- أمـــيرٌ، وفي محْرَابِـــه مُتَعَبِّـــدُ
همُ مَعْدنُ العِزِّ الـصريحِ، إذا انْتَمَـوْا وبيْـتُ المَعَـالِي، والمَعـانِي، المُصَـمَّدُ
لِبَانُ التُّقَى، والمكْرماتِ قد ارْضِعُوا وسـادوا جميـعَ العـالمينَ، وسُـوِّدُوا
ومـــا مِـــنْهمُ إلا جَـــوَادٌ مُـــبَرِّزٌ لدى حَلَبَـاتِ المَجْـدِ، نَـدْبٌ، مُمَجَّـدُ
فهمْ كنُجوم الليل؛ ضـوْءًا، وخِلْقَـةً إذا سَـــيِّدٌ ولَّى يُخَلِّـــفُ سَـــيِّدُ
بنو الشيخ، أنتمْ أفْضَـلُ الخلْـق كُلِّـهِ فإيَّـــاكُمُ.. إيَّـــاكُمُ أنْ تَبَـــدَّدُوا
فجمْعُكـــمُ جمْـــعُ الدِّيانـــةِ، والعُـــلا وليس يُضاهِي الجمْعَ- في الفَضْلِ- مُفْرَدُ[1]

أما **دارا الشيخ أحمد بن آدب**؛ فهما أيضا **تورية** مقصودة دلالتها الباطنة: **الدنيا والآخرة، ودلالتها الظاهرة** تقتصر على **داريه اللتين بناهما** في **"تگانت"**، رمزا لبداية تمركزه، و**"تمكنه"** واستقراره في مشيخته المتعددة الأوجه، فهو كما شارك في شبابه، مع إخوته وجماعتهم، في معارك الدفاع عن "قصْر البركة"، وما حواليها بتگانت، شارك- بعد ذلك- في إعادة إعمارها، إذ بنى في هذا "القصْرِ"- الذي كانَ من "أمَّهَات القُرَى" الكنتية- دارا كبيرة بمقاييس ذلك العصر، كانت بوابة حائطها قوسا تدخل الجمال المحملة عبْرها، وربما تكون تلك القوس الموجودة في صور أطلال "قصْر البركة" المتداولة، وقد بارك حملة تعميره تلك بقوله:

أبـانيَ قصْـرِ البرْكـة، شـيِّدْه، وابْنِـهِ وبلِّـغْ تحايانـا إلى القصْـــرِ وابْنِـه
فـذا العـالَمُ العلْـويُّ راضٍ بنـاءَه وذا العـالَمُ السُّـفْلِي جَنَّـةُ عدْنِـه

وبعد ذلك استقل **بقرية خاصة به**، جعلها **عاصمة أهل آدب**، بمشيختيْهما الروحية والسياسية، وقد **حملت اسم** حاسي **النبط**، **بالوادي الأبيض** الذي أسَّسها عنده، والذي كان **هدية** من **أولاد البحر**، أحد أفخاذ **أولاد سيد حيبّل** البارزين،

[1]- **المُسْتَمَاحُ**: طالب الشفاعة والعذر. **المُصَمَّدُ**: المقصود، وتعني الصُّلْبُ المصْمَتُ الذي ليس فيه خَوَرٌ. **نَدْبٌ**: متطوع.

بقيادة زعيمهم يومئذ **سيد أحمد بن سيدي بن الوداني**، في الربع الأول من القرن العشرين، وهنا بنى داره الثانية، التي احتفت بتشييدها ابنة أخيه **خديجة** "دَيَّه" بنت **سيدي بن آدب**، فقالت:

يَـا وَادِيَّ النَّـبْطِ، لا غَبَّتْـكَ أمْطَـارُ وسـاعَدَتْكَ مـنْ الوَسْـمِيِّ أنْهَـارُ
يا وَادِيَّ النَّبْطِ لَا شَـطَّتْ بِـكَ الـدَّارُ وحَلَّكَ الخَـيْرُ إذْ حَلَّـتْ بِـكَ الـدَّارُ
دارٌ لأحْمَـدَ، لا زالَ المُنَـاخُ بِهـا كـما تُحَـطُّ ببَيْـتِ الله أوْزارُ

وقد دندت الشاعرة كثيرا حول "**النبط**" موطن أهلها الأثير، ومواسمه الجميلة، فقالت:

فللـهِ أيَّـامُ الحَـدَائِقِ والتَّمْـرِ مـن النَّـبْطِ، أيَّـامُ الـذَّبَائِحِ والنَّحْـرِ
لقـدْ خَصَّـهُ المَـوْلَى بأحْمَـدَ، شَـادَهُ وجَفَّـتْ بِـهِ الأقْـلامُ، يـا لـكَ مِـنْ

وحتى لو غابت عنه بجسْمِها يظل شُعورها وشِعْرها يحومان حوله:

يا زائرَ "النَّبْطِ" إنْ تَلْمُمْ بِـه سَـحَرًا سَلِّمْ، ولَا تَنْسَ حَرْفًا فِيـهِ أوْ سَـطَرَا
قَصْـرُ المَكَـارِمِ، لا قصْـرٌ يُماثِلُـهُ أعْيَـتْ مَدَائِحُـهُ النُّثَّـارَ والشُّـعَرَا

وقد عززت الشاعرة **خديجة** وصفها التقديسي لـ "**النبط**" الذي ذكرتْه سابقا، عبر تشبيه بركة زيارته – مبالغة بلاغية– ببركة حج بيت الله الحرام، بعدما دفن فيه **الشيخ أحمد**، فقالت في رثائها له:

العِلْـمُ والحِلْـمُ والآدابُ والكـرَمُ قـد حَـلَّ بـالنَّبْطِ مـنْ أرْبابِهـا عَلَـمُ
ماتَ العَفافُ وماتَ الجُودُ – أجْمَعُـهُ بمـوْتِ حَـائِزِهِ، مُـذْ حَـازَهُ السَّـنَمُ
منْ بَعْدِهِ الأرْضُ أحْنَتْ ظَهرَها ثَكَلًا واسْتوْطنتْ بَطْنَهَـا الأقْـمَارُ والـنُّجُمُ
وأورثَ النَّـبْط منـه مَكَّـةً بَـدلًا والبيْـت أورثـه والحِـلُّ والحُـرُمُ

[1]– **غَبَّتْكَ**: زارتك في أوقات متباعدة، **الوَسْمِيِّ**: مطر الربيع الأول. **المُنَاخُ**: مبرك الإبل ومحل الإقامة.

ما بعْدَ رُزْءِ الجَليـلِ المُصْـطَفَى طمَـعٌ بـأنْ تَنَـالَ البَقـا مـنْ بَعْـدِهِ نِسَـمُ[1]

وقد تكرَّسَت ~~هذه النظرة التقديسية لـ"وادي النبط"~~، أو **"قصر النبط"** كما سمته شاعرتنا آنفا، عند مختلف قُصَّاده وزُوَّاره، فيما بعد، باعتباره **حاضرة** زعامة **أهل آدب، وحضرتهم** الروحية، و**مزار** مَشْيخَتِهم، حيث نرى الشاعر محمد بن الجيلي بن أحمد انبسيف، يتشوقه، ويستشرف الوصول إليه بكل لهفة:

حيٍّ الـديارَ التـي مـن أشْرَفِ المُـدُنِ نُشْفَى بهَا مِنْ جَمِيعِ الشوْقِ، والحَـزَنِ
كـنْ عـاملا نحْوهـا بِعَـيْهَمٍ أجُـدٍ تطْوي الـدُّنا دُونَهـا فِي الآلِ والحَـزَنِ
تلك الديارُ التي بـ "النبْط" شـيَّدَها قوْمٌ كرامٌ، عَلَوْا، من سَالفِ الـزَّمَن[2]

وكذلك نجد الشاعر **الأسياد بن جار**، سليل أهل **الشيخ بن أمني** بيت العلم والفضل والصلاح، يقول:

أيا أهْلَ "وادي النَّبْطِ"، وافاكمُ وفْدُ حيارى من الأوْزار، مـا عنْـده رِفْـدُ
مَطاياهُ- منْ تتابُعِ السيْر- قـدْ وَنَـتْ وأمَّـا نفوسـه، فـذا عِنْـدَها، شـهْدُ
ولله منِّـي الحمْـدُ؛ إذْ جئـتُ زائـرا وما لي- وأيْم اللهِ- في غير ذا- قَصْدُ[3]

وهنا نذكر أن **شيخ النبط**، المزور، كان هو وأهله جميعا يبادلون أهل **الشيخ ولد أمن** أقصى التقدير والاحترام، **فالشيخ أحمد بن آدب**، ما زال يتردد صداه، متضرعا:

أذا المن - بابن أمن- صرِّف طخى قلبي وفرج هموما، لاتـزال مـع الكـرب
وانصر، وأيد، واكفني كيد مـن شـنا وحاربْ - إلهي- كلَّ من يبْتغي حرْبي

---

[1] - **السَّنَمُ**: يعني ذروة القبر وأعلاه. **ثَكَلًا**: الفجع بفقد حبيب، كفقد الأم لابنها.
[2]- **الآلِ**: السراب. **أجُد**: ناقة موثقة الخلق.
[3]- **وَنَتْ**: ضعفت وفترت وكلت وأعيت.

بصــوْمِك أيامــا هواجُرُهــا لظــى كـذا بقيـام في الـدياجر، في الـتربِ[1]

والخلاصة - ~~هنا - أن "رب هذا البيت"، منذ ابتنى~~ داريْه، وحول أخراهما - في **النبط**- مستقر **حضرته**، ورمز تمركز كل **مشيخاته** الروحية، والاجتماعية، وحتى الشعرية، **ألقى** بها **عصا التسيار**، في انتظار أن **يوارى جثمانه فيها**، ولم يعد يمارس غير **الرحلة الروحية**، التي يسميها هو **"الزيارة بالمعاني"**، حيث يؤكد ذلك لشيخه الشيخ سيدي باب، قائلا: «إني... وإنْ عاقت **العوائقُ عن القدُوم**، صَحَّحْتُ **الزيارةَ بالمَعاني** دونَ الرُّسُوم»، بل يناجي بذلك النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام، حيث يقول له:

وإن لم- بالعيــان- أزرك جهْــرا فتكفينــي الزيــارة بالمعــاني

وحين يشتد عليه الشوق والحنين لزيارة **الحرمين الشريفين**، يتحسَّرُ قائلا:

ثَوَيْـتَ بـأرضٍ لا نجـاةَ، ولا أمْنـا لثاوٍ بها، والرَّكْبُ -وَيْحَكَ- قد أمْنَى
وطـافَ، ولبَّـى، واسْـتتمَّ شُرُوطَـهُ ونحْنُ أسارَى الشوْقِ، بالبيْتِ، قد هِمْنَا
سكارَى، بلا صَـحْوٍ، مِـنَ الشـوْقِ، لم أفَقْنَـا، وأهْـلَ الحُـبِّ قاطبـةً فُقْنَـا
نكُــــــــــــــــــنْ وكُلَّ مَـرَارَاتِ الهَـوَى المُـرِّ قـد ذُقْنَـا
هوى المُصْطفى ما إنْ وَجَدْنَا كمِثْلِـهِ فمَـرِّغْ بهَـا خَـدًّا، ومَـرِّغْ بِهَـا ذَقْنَـا[2]

ثم يلجأ إلى الحج الافتراضي، حج القلوب، حيث يقول:

إذا جئت وحدي البيت أو جئت في جمع وعاينْتُ ما بيْنَ "الحجُونِ"، إلى "جَمْعِ"
وعاينت، بالعين، "المقام"، وذا "الصَّفَا" وذاك "مِنًى"، والكلُّ يُدْرَكُ باللمْعِ

---

[1]- **طخى**: الوسخ والظلمة. هواجُرُها: **الهاجرة**: نصف النهار عند اشتداد الحر. **الدياجر**: جمع ديجور وهو الظلمة الشديدة.

[2]- **ثاوٍ**: مستقر بالمكان ومقيم فيه ونازل به. **أمْنَى** الحاج أتى منى. **هِمْنَا**: اشتد شغفنا حبا.

إلى "عَرفاتٍ"، فـ"الحطيمِ"، فـ"زَمْزَمٍ" إلى غير ذا، من لذَّةِ العـيْنِ، والسـمْعِ
جَرَى، وانهَمَى، وانْهَلَّ- مِ العَيْنِ دافِقا بسَـكْبٍ- ولا عـارَ- المَصـونُ مـنَ
مَنـازِلُ فيهـا اللهُ يـرْحمُ خلْقَـهُ الـدمْعِ

[1] - **اللمْع**: البريق والضوء.

رابعـــا

ميراث الموسوعية الوهبية
الطفل المولود علَّامَة عَلَما

كما أن **آدب** أوْحى بأن ابنه **الشيخ أحمد** ولد شيخا، حيث منحه هذا الاسم وهو في المهد صبيا، فقد أوحى كذلك بأنه ولد مستكملا للمقومات العِلْمِيَّةِ، ومُتَحَلِّيا بصِفات العَلَمِيَّةِ، وموسوما بالتفوق حتى على جميع **أهل آدب**، وعلى أكابر وعظماء أسلافهم الغابرين؛ حيث رقصه- في صباه- بهذه التحليات الكبيرة:

معلّمٌ.. عـــــــالمٌ.. علَّامَةٌ.. عَلَمٌ قد فـاقَنا.. وكـذا مَـنْ قبْلَنـا غَـبَرُوا

وهكذا أخذ هذا الفتى نصيبه وافيا من ميراث **جدلية الكسب والوهب** في تكوين **أسرة أهل آدب** في العلم وغيره، بحيث لم تسجل **للشيخ أحمد** أية رحلة خارجية في طلب العلم أو التصوف، ورغم ذلك فإنه كان- حسب المقربين منه- واسع المعارف، قوي الذاكرة، حتى ليوصف بأنه من **المُحَدّثين**، وقد روي عنه أنه **يحفظ بعض الكتب** بحالها مثل "**نفح الطيب** في الصلاة على النبي الحبيب"، للشيخ سيدي المختار الكنتي، وكذلك كتاب "**الشمائل المحمدية**"، وكتاب "حصن الحصين"، وكانت لديه **مكتبة كبيرة**، اجتمع له فيها من أمهات الكتب النفيسة مالم يجتمع عند أحد من معاصريه في فضائه الاجتماعي، كما أن آثاره الباقية يستفاد منها أنه ضليع في مختلف علوم عصره، متمكن من ناصية الأسلوب الأدبي الرفيع، الذي يعد بصمة فنية مميزة لنثر المدرسة الكنتية الشرقية والغربية معا، شأنه

في ذلك شأن أخيه سيدي وأبيهما آدب، وجل سلالة أهل مْحمد ولد الطالب أعمر بن خيري البوسيفيين، كما أن بعض آثاره توحي بمكانته الفقهية العلمية والصوفية، ومن خلال مراسلاته التي سنعرض منها قبسات، كلما اقتضاها المقام، تتبين كذلك قدراته الكتابية النثرية، وخلفيته المعرفية، والعرفانية، والأخلاقية، والسياسية.

وفي رثاء العالم القاضي الشاعر: **محمد بن الدي** بن أحمد بن سيد الأمين بن محمد الطالب اعمر بن خيري لابن عمه: **الشيخ أحمد بن آدب** يركز على منظومة قيم المرثي المركبة، حيث يقول:

سَــلِّمْ أمــورَكَ للمُهــيْمِنِ الحَكَــمِ ... مضــتْ بَقِيَّــةُ هــذا المجْـد والكَـرَمِ
والشُّكْر، والصـبْرِ، والخُلْـقِ الجميـلِ، ... حُسْنِ الوفَـاءِ بحَـقِّ النَّقْـدِ والسَّـلَمِ
عـــــــــــــــــــــلى ... صْوْنِ السَّرِيرَةِ، مِنْ زيْـغٍ، ومـنْ لَـمَمِ
والعِلْمِ، والحِلْمِ، والسِّرِّ المَصُونِ عَلَى ... والمِدْفَعِ، الـدَّافِعِ، المِقْـدَامِ، والقلـم[1]

ولعل خير من لُمَّ مختلفَ حقول موسوعية **الشيخ أحمد** المعرفية والعرفانية، هو صديقه الشاعر القدير: مُحمد عبد الله **بن عبيد الرحمن العلوي**، في **مرثيته** لهذا الرجل **المولود "عَلَّامَة علَمًا"**، كما تنبأ له والده بذلك، حيث يقول هذا الشاعرَ القدير:

قد اغْمَدَ منْـهُ المـوْتُ سـيْفَ هِدَايَـةٍ ... وَلوْ شاوَرَ المَوْتُ الهُدَى لـيْسَ يُغْمَـدُ
قد أنْصَفَتِ العلْيَـاءُ إذْ بَعْـدَهُ غَـدَتْ ... قَرِيحَةَ جَفْـنٍ.. لَيْلُـهَـا لـيْس يرْقـدُ
وَمَـا زَالَـتِ التَّقْـوَى ادِّكَـارًا لِـدَهْرِهِ ... مُفَجَّعَةً.. ثَكْـلَى.. تَـقُـومُ.. وَتَـــقْعُدُ

[1]– **زيْغ**: ميل عن الحق. **لَمم**: صغير الذنوب.

بَكَتْـهُ المَعَـالِي.. والمَعَـانِي وبَعْـدَهُ سَيَمْكُثُ عِـلْمُ الشَّـرْعِ، وهْوَ مُسَهَّـدُ
تَـزَوَّدَ خَـيْرَ الـزَّادِ.. طُـولَ حَيَاتِـهِ وَإِنَّ التُّـقَـى خَـيْرُ الَّـذِي يُتَـزَوَّدُ
وتَـشْهَدُ أَرْبَـابُ المَقَامَـاتِ أَنَّـه -عَلَـيْهُمْ- لـهُ التَّقْدِيـمُ.. والحَـالُ
لقـد أَفَلَـتْ شَـمْسُ العُلُـومِ بِفَـقْدِهِ يَشْـهَدُ
وحُـلَّ لِـوَاءُ الدِّيـنِ يـوْمَ وَفَـاتِه وفُـلَّ حُسَـامُ المَكْـرُمَـاتُ.. المُهَنَّـدُ
فَيَـا وَيْـحَ مَـا سَـنَّ الجُنَيْـدُ لِحِزْبِـهِ وَإِنِّـي لأَحْجُـو أَنَّـهُ لـيْسَ يُعْـقَدُ

[1]- **مُسَهَّدُ**: أصابه أرق ولم يستطع النوم لمرض أو نحوه. **أَفَلَتْ**: غابت واستترت. **أَحْجُو**: حجا الأمر ظنه. و(السر): كتمه وأخفاه . وحجا بالمكان أقام به. وحجا: وقف. وحجا فلانا غلبه في المحاجاة.

خامســـا

سماحة الشيخ
سخاء الروح والراحة

ما تزال **الأبيات** القليلة التي **حنَّكَ** بها **آدب** ابنه **الشيخ أحمد** عند مولده، وهدهد بها مهده، هي **المفاتيح السحرية** التي اكتشفتها **لتفكيك** بناء **شخصيته، وتركيب** مقومات **مشيخاته** المتعددة الأبعاد، فكما اعتبره ولد شيخا، وأطلق الاسم على المُسَمَّى منذ الميلاد، واعتبره -كذلك- ولد "عَلَّامَة عَلَمًا" مانحا إياه الإجازة العليا، في العرفان، والمعرفة، وحتى الوجاهة، والسيادة، فإنه هنا اعتبره أيضا وُلِدَ شيْخا في سخاء الروح والراحة، بفيض عطائه، تنويرا وهداية، و"**تخْويلا**"، و"**تقْديسا**"، لكلِّ منْ سيَحُجُّ حضْرَتَه، منْ رُوَادٍ، ومُرِيدِينَ، قائلا:

إليكَ تُـضْرَبُ أكْبَادُ العَطامِـــيسِ يَـا شـيْخُ أحْمَـد نِـبْرَاسُ النَّبَـاريسِ
تَسْعَى إليْـكَ رُوَادُ الحَـاجِ مِـنْ بُعُـدٍ فَيُفْلِحُـــونَ.. بتخْويـلٍ.. وتقْـدِيسِ

كما اعْتَبَرَهُ **كُنْهَ الفخْر** ومعْناه، الذي لا يحاكي سخاءَه - بكل المعاني والمعالي- فيضُ البحور الزاخرة، ولا هطولُ الغيوث الماطرة، حتى أنه شبَّهَ - ضمْنيا- يُمْنَ جودِ يَمِينِهِ، بعصى موسى في السخاء، بحيث لا تلامس صخور البخلاء والجهلاء، إلا وتفجرت أكف أولئك بالعطايا والهدايا، وعقول أولئك بفيوض العلوم والفُهوم، حيث يقول:

الشيخ أحمدُ.. فخْـرٌ.. حـين يُفْتَخَـرُ مـــا إنْ يُشـــابِهُه بحْـــرٌ.. ولا مَطـــرُ

بجُودِ يُمْنَاهُ.. جادَ الباخِلُونَ.. كما - مِنْ راحتَيْهِ- بُحُورُ العِلْمِ تَنْفَجِرُ
معلّمٌ.. عالمٌ.. علَّامَةٌ.. عَلَمٌ قد فاقَنا.. وكذا مَنْ قبْلَنا غَبَرُوا.

وقد وجدنا نصليتيها **للشيخ أحمد** -لا ثاني له- يفتخر فيه - ولو على خجل- بكرمه في الشدة والرخاء، ربما تصديقا لبصيرة والده فيه، إذ يخاطب "ميَّه"، وليْلَاه:

سَلِي - مَيّ- السّنِينَ الغُبْرَ عنِّي لَدَى عَضِّ السِّنِينَ بِكُلِّ سِنِّ
سَلِي الأمْوالَ تُفْصِح - وَيْكِ- أنِّي أهنْتُ خِيَارَها، مَا إنْ تُهِنِّي
سَلِي الأشْعارَ، والسُّمَّارَ وهْنا سَلِي "تَنْدَيْنَ"- مَيُّ- سَلِي "تَدَنِّ"
سَلِي يُخْبِرْكِ عَنِّي الكُلُّ كُلًّا بذاكَ، وغيْرَ ذاكَ فلَا تَظُنِّي
فثَمَّ البُدْنُ تشْهَدُ لِي، وضيْفِي ويَشْهَدُ لِي العَبَنُّ، مَعَ الهَبَنِّ

ولكيْ نتأكَّدَ- نَصِيًّا- منْ أنَّ **فِرَاسَة "آدبَّ"** لمْ تَخِبْ في ابْنِه، وأن **فخر الشيخ أحمد** ليس مجرد ادعاء وتفاخر، سنسْتحْضِرُ شاهِدا آخر، هو الشاعرُ المفلق: محمد عبد الله **بن عبيد الرحمن العلوي**، صديقَه الذي رَثَى فيهِ كلَّ مَكْرُمَةٍ وفَضِيلةٍ:

فشلَّتْ يَدُ الموْت.. التِي مَدَّهَا.. إلى تَقِيٍّ.. نَقِيٍّ.. لا تُضَمُّ لَهُ يَدُ
مَضَى منْه مِتْلافٌ.. فَرَائِصُ مَالِه - مَدَى الدَّهْرِ- مِنْ خوْفِ التفَرُّقِ- تَرْعُدُ
وغَيْثٌ عَلَى أهْلِ الحَوَائِج.. قدْ همَى ولكنَّه يهْمِي.. ولمْ يَكُ يُرْعِدُ
فَتًى.. قدْ بَكَتْه المَكْرُماتُ.. ولمْ يَكُنْ بَكَاهُ طَرِيفٌ.. يَوْمَ بَانَ.. ومُتْلَدُ
هُمَامٌ.. إذا مَا قَالَ وَاصِفُ فَضْلِه: مُضَاهِيهِ.. لا يُلْقى.. فلَيْسَ يُفَنَّدُ
هُمَامٌ.. بِهِ شَمْلُ الفَخَارِ.. مُجَمَّعٌ ولكنْ.. بِهِ شمْلُ الثَّرَاءِ.. مُبَدَّدُ
فيَا لهْفَ أضْيَافِ الشِّتَاءِ.. لقدْ علا - عَلَى مُكْرِمِ الأضْيَافِ- تُرْبٌ.. مُلَبَّدُ!

ومَنْ لِليتامَى.. والأيَامَى.. يُنِيلُهمْ - إذَا اسْتَرْفَدُوا مِنْ رِفْدِهِ- مَا

وعلى هذه الشهادة بكرم **الشيخ أحمد** وسخائه، يتواطأ مادحوه ومؤَبِّنُوه، فهذا القاضي العالم **عبد الرحمن بن بلّال الجمَلِّي**، يقول في رثائه:

لعمرك إنَّ مَنْ تُخْطِي المَنايا لسَوْفَ تَصيدُه بَيْنَ الحَوَايا
يبيتُ المَرْءُ يذهبُ في عَمَاهُ إذا ما منْهُ أذْوِرَةٌ خَلايا
فلو أنَّ المَنِيةَ بالمعالي عن الأشْراف تُدفَعُ، والرَّزَايا
لكانَ الشيْخُ أحْمَد ذا حياةٍ مُخَلَّدَةٍ، إلى بعْثِ البَرَايا
إمَامٌ، كانَ للحاجاتِ مَأْوَى إليهِ الجُرْدُ تُعْمَلُ والمَطَايَا
فكمْ منْ مُهْتَدٍ أهْدَى سريعًا وكمْ من مُعْتَدٍ أوْلَى بَلايا!
وكمْ في الغيْب أخْبَرَ في صِبَاهُ وآثَرَ بالحَوائجِ و"الغَوَايا"!
وكمْ -من غيْرِ قُلٍّ- باتَ يدْعُو خَمِيصَ البَطْنِ، أضْلُعُه حَنَايَا!
تَخافُ العُرْبُ منْهُ، معَ النّصارَى وتَبْعَثُ من مَخافَتِهِ الهَدَايا
تَزَوَّدَ- مِنْ دُنَاهُ- بِزادِ تقْوى ومَا عَمِلَ الجَرَائمَ والخَطايا
عفَا عنْهُ المُهيْمِنُ وارْتَضَاهُ وأضْحَكَ -عِنْدَهُ- مِنْهُ- الثَّنَايا
وبَارَكَ في الخَليفةِ منْ بَنِيه وأوْرَثَه الطبائعَ والسَّجَايَا
وآزرَه، وإخْوَتَه، بنصْرٍ وعِزٍّ، فِي الضَّحَايَا والعَشَايَا
على طهَ الأمينِ، وآلِ طه ومَنْ يُوصِي به أزْكَى التَّحايا[2]

---

[1]- **مِتْلافٌ المال**: الكثير البذل. **همَى**: انصب وسال. **اسْتَرْفَدُوا**: طلبوا المعونة والعطاء. **رِفْدِهِ**: عطائه وصلته.

[2]- **الحَوَايا**: حوايا البطن: أمعاؤه وأحشاؤه. **أذْوِرَةٌ**: جمع دار. **الجُرْدُ**: جمع الأجرد: الفرس الجميل القوي، **المَطَايَا**: جمع مطية: من الدواب ما يركب كالبعير والناقة وتستعمل للمذكر والمؤنث. **آزرَه**: سانده وقواه وعززه.

وهناك شاعر آخر، يتخلَّصُ إلى **مدح الشيخ أحمد**، بكرمه المعهود، وجوده المشهود:

لُيَـيْـلاتِ الصـبَا، عـودِي إلَيْنـا وما قوْلُ الشَّـحِيِّ: -هُـنَّ - عُـودِي
سـقاكِ- وإنْ أثـرْتِ رسـيسَ وجْـدٍ إلى الأحْشَـاءِ- مُنْهَمِـرُ السُّـعُودِ
وأحَشَـائِي يُجِـدُّ لهـا اشـتياقا وقـوفُ الصـبِّ بالطلـلِ الجَديـد
شـفَاها مـن تَبارِحِهَـا هُمَـامٌ يـواسِي بـالطريفِ، وبالتَّلِيـدِ
يَـرَى صِـلَةَ الوُفـودِ عليْـه حَـتْما إذا مـا ضـاقَ مُـزْدَحَمُ الوُفـودِ
وكـم يَـدْعُو لنـا الجَفَـلَى، ويُهْـدِي نـداهُ للقرِيـبِ، وللبَعيـدِ
مَتَـى تَلْمُـمْ بـه لِطِـلابِ حـاجٍ تَنَـلْ مـا شِـئْتَ مـنْ كـرَمٍ وجـودِ
ألا يـا شـيْخُ أحْمَـدَ، هـاك، خُـذْها لآلـئَ نظْـم قَافِيـةٍ شَرُودِ[1]

وعلى هذا يتواتر مادحوه بإجماع، فهذا **محمد محمود** بن سيدنا، الملقب "**أفَّاف**"، يقول إنه لم يُسَلِّه عن ليْلاه إلا

الشـيَّخَ أحْمَـدَ عنْهَـا، مَـنْ مَحاسـنُه عَمَّتْ جميعَ الوَرى فضْـلا وإحْسـانا
منْ كانَ أحْيا المَكَـارمَ التِـي هلكـتْ بَعْـدَ اقتنـاصِ شريـدِ المَجْـدِ أزْمانـا
إنْسان عيْن الوَرى، في الفضْل قاطبةً ما إنْ تَرَى مِثْلَهُ- في الفضْلِ- إنْسانا
فهْـو الكَـريمُ الـذي تُرْجَـى نَوافِلُـه هـو الجَـوادُ الـذي بالمَجْـدِ قـد بَانـا
غيْث العِبَادِ، إذا مـا الغيْـثُ خَـانَهُمُ غوْثُ الأرَامِلِ، جادَ الغيْثُ، أوْ خانا[2]

---

[1]- **لُيَّلات**: جمع ليلة هو تصغير ليلة للتحبيب. **رسيس** الشيء: بقيته وأثره. **الصبُّ**: المشتاق العاشق. **الجَفَلَى**: الدعوة العامة للناس. **تَبارِحِهَا**: آلامها وشدتها. **نداهُ**: الندى: الجود والكرم. **طِلاب الحاجة**: مطالبتها.

[2]- **الوَرى**: الخلق من البشر. **قاطبةً**: كافة.

وعندما يستشعر أحد الشعراء الرغبة الملحة **في شرب الشاي النادر** يومها بين العامة، وحتى الخاصة، لا **تتجه بوصلة طلبه** إلا إلى **الشيخ أحمد بن آدب**، فيقول شاكيا إليه حالهم:

مُرُوا مَنْ يَجِي- نَحْوَ المَشايخ- أنْ يجِي بفرْحَةِ كاساتٍ، وتطْلِيع "مغْرَجِ"
و"تزْييفِ بَرَّادِ"، وتكْسير سُكَّرٍ وأمْرِ مُقيمٍ- للمُناوِلِ- أنْ يجِي
فإنَّا بنَتْ فينا الخدَرْنَقُ بُرْهة وليس لها عمَّا بنتْ من مُهيِّجِ
سوى الشيخ نجل الشيخ آدب إنه إذا همَّ بالمَعْروفِ لمْ يتَلجْلَجِ
حيِيٌّ، سخِيُّ النفْس، والكفِّ، أروعٌ تقِيٌّ، نقِيُّ العرْضِ، غيرَ مُزَلَّجِ
مُنَوّرُ مِرْآةِ الفُؤادِ، مُوَفَّقٌ يُنِيلُ الذي قد جاء ماجاءَ يَرْتَجِي
فو الله ما أنْسى كؤوسًا شَهيةً يُجَلِّي شذاها الشَّجْوَ عن كلِّ مَنْ يَجِي
حبَاكَ بها منْ قبْلُ ذو البَيْتِ، إنَّه حباكَ بها-معْ غيْرِها- قبْلَ ذَا المَجِي[1]

وأخيرا نراه يوصي بمذهب البذل والعطاء نفسه ومُرِيدِيه، مستحضرا قول **شيخ** شيوخه: **عبد القادر الجيلي**، حول ضرورة **جعْل المال** ونشَبَ الدنْيا **في اليَد**، لا **في القلْب**، حيث يقول، في رسالة إلى تلميذه:

«**وإنَّه، بحمْدِ الله إليْكَ**، الذى لا إله إلا هو، **والوَصِية لنفْسي ولكَ بتقْوَى الله** العظيم، و**عدَم الرُّكُونِ إلى الدنْيا** والمَيْلِ إليْها، وتَوَقِّي حَبَائِلها التي تصْطادُ بها مَنْ مَرَّ عليْها، إذ هِي أسْحَرُ منْ **"هَارُوت"** و**"ماروت"**، وليس لصاحِبها المُقْبِلِ عليْها إلا أنْ يَكونَ لا يَمُوتُ، **واسْتعِذْ** منْ **شرِّها** بالله ربِّكَ، **وما وَجَدْتَ مِنْهَا فاجْعَلْهُ بيدِكَ، وأخْرجْه من قلْبِكَ**، إذْ **بُعْدُ** مَا بيْن **الدنْيا** و**الآخِرة**، بُعْدُ ما بيْن **المَشْرق** و**المَغْرب، ولا يَصِحُّ إمْساكُها لسَالكِ طريقِ الآخِرَة**، إلا بعْد القدْرة على إمْسَاكها فِي يَدِه، وإخْرَاجِها منْ قلْبِه، فإذا بَلَغَ ذلك، فلَهُ أنْ يُمْسِكَها، وَيفْعَلَ فيها

[1]- **الخدَرْنَقُ**: العنكبوت والكبير منها. **مُزَلَّج**: من لا خير فيه ولا غناء عنده. **حبَاكَ**: أعطاك ووهبك ومنحك. **والحبا**: السحاب المتراكم القريب من الأرض.

ما يشاءُ، ويتصرَّفَ فيها كيْف شاءَ؛ لكوْنها صارتْ لا لِمُباهاةٍ، ولا تكاثُرٍ، ولا تفاخُرٍ، بل لعِفَّةِ النَّفْسِ عنِ السُّؤالِ، والنفقَةِ علَى العِيال، وتأديةِ ما فرَضَ اللهُ فيها من الحُقوق».

سادســـا

جامع المشيختين
شيخ الدين، وشيخ الدنيا

كلما حاولنا تلمس أي جانب من شخصية **الشيخ أحمد**، لا بد- كما قلنا سابقا- من استصحاب المفاتيح الدقيقة، التي زودنا بها والده **آدب**، واكتشفنا طاقتها العجيبة في **أبياته** القليلة، التي هدهد بها **ابنه** هذا، فتلك الومضات الشعرية المختصرة، الخفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان، لأنها تكتنز أسرار **الطفل الذي ولد شيخا**، بكل معنى الكلمة، **"تضرب إليه أكباد الإبل"**، وتحج إليه **"رواد جميع الحاجات"** من كل فج عميق، باعتباره **"نبراس النباريس"**، المستضاء بأنواره، المهتدى بهديه، **المضمون لوفود رُوَادِ حضْرته الفلاح** في مقاصدهم المادية والروحية، الدنيوية والدينية، إذ سيحظون - حتما-**"بتخويل وتقديس"**، فهذا الطفل المُهَدْهَد في مهده صيبا، كان والده يراه- باعتبار ما سيكون، حسب بطاقة الميلاد العظيمة، التي سجل له فيها هويته، باسمه: **"الشيخ أحمد"**، الذي لا يعنى - في مُسَمَّاهُ - **المشيخة والأحمدية** فقط، وكفى بهما، بقدر ما يعنى **الشيخ أحمد "الفَخْر"** كله، **"حين يُفْتَخَرُ"**، وهو **حقيقة السخاء**، الذي **لا يضاهيه البحر** الهادر، ولا **الغيث الماطر**، حتى أن يمينه - مثل عصا موسى- لو لامستْ صخْرة أي بخيل أو جاهل، لانبجس كف الأول بالعطاء طوفانا، وعقل الآخر بمدد العلوم معرفة وعرفانا، فهو كما يلخص والده آدب، بقية أوصافه:

معلّـمٌ.. عـــالمٌ.. علَّامَـةٌ.. عَلَـمٌ قد فـاقَنا.. وكذا مَـنْ قبْلَنـا غَـبَرُوا.

كل هذه الأبعاد المركبة لشخصية **الشيخ أحمد** يختزلها والِدُه عبد القادر **آدب** بن سيد الأمين، في خمسة أبيات: ثنائية، وثلاثية، تنبأت بما سيكونُه هذا الوليد، إذ سرعان ما تحققت فراسة الوالد وحدْسه، فبلغ الشيخ أحمد كل هذه المقامات الروحية، والاجتماعية، والمعرفية، والعرفانية، بالطفرة ذاتها التي وصل بها إليها كل من أبيه **آدب**، وأخيه الأكبر **سيدي**، حيث **تُفَعَّلُ** آليات **الوهْب** والفتْح أكثر من آليات **الكسْب**، والكدِّ، حسب السردية المَناقبية المؤسسة **لمشيخة آل آدب**، حيث لم تسجل له – ولا لهما– رحلة في طلب العلم بالمحاظر الشنقيطية التقليدية، ولا في الخدمة الصوفية إلى حضرات التربية الروحية أيضا؛ حيث تقول الرواية المحلية المأثورة إن **"آدبَّ" (عبد القادر)** الشقيق الأصْغر لأبناء **سيد الأمين بن محمد بن الطالب اعمر بن خيري**، كان أخوه الأكبر: **مْحمد "ويقي"** بن سيد الأمين، يقول لشيْخِيْهِ في الحضْرة المُخْتَارية الكنْتية بـ **"أزواد"**، إنَّه لا يدْرسُ العلومَ، ولا التربيةَ الصُّوفيةَ، لنفْسه، بقدر ما يخدمُ بالنِّيَابةِ عن شقيقِه الأصْغر الذي بقي وحيدا يعْتنِي بعائلتهم، في الوقْتِ الذي تفرَّقَ من حوْلِه، كلُّ أقاربه– طلبًا للمَعرفةِ والعِرْفان– باتجاه حضرة أهْل الشيخ سيدي المختار في الشرْق، أو فيما بعد إلى حضرة أهْل الشيخ سيدي في الغرْب، ومهما كانت صعوبة تصديق هذا المنطق في عصرنا الراهن، ومهما يكن استعداد ذهنية المتلقي المعاصر لإنكاره، فهم يجزمون بأن الله قد اسْتجابَ لرغْبة **مْحمد "ويْقِي"** في أخِيه **آدبَّ**؛ حيث ورِثَ– منْ لَدُنْهُ– سِرَّ أسْرتِه العِلْمِيّ والرُّوحِيّ والشِّعْريّ، فكسَفَتْ شُهْرتُه إشْعاعَ إخْوَتِه وأبِيه وأعْمامه العُلَمَاء الشُّعَراء، رغم أنه قد تَرَكَه أبوه، وهو أصغر أبنائه، في بيئة حرْبية، ذاتِ ظروف حياتية صعْبة، غيْر مُوَاتِية لطلَبِ العِلْم، وهذا ما يَسْتَحْضِرُهُ ابْنُه سيدي محمد **"سِيدِيَّ"** رِوَايَةً عنْ والِدِه، حينَ يَرُدُّ علَى أخِيهِ:**"محمد لحْوار"**، عنْدما اسْتَأذَنَه في الرحْلة لطلَبِ العِلْمِ، فقال له، في تَضاعيفِ رِسالتِه الجَوابِية: **"فتْح القهَّار** في الرَّدِّ على محمد لحْوار":

«**وأمَّا ما ذكرتَ** من الْتزامنا الرحلة في طَلَب العِلْم، خلَفا لسَلَفٍ، فلا نُطيلُ فيه، ولكن:

خذْ ما تـراهُ ودعْ شيْئا سـمعْتَ بـه في طلْعَةِ البدْر ما يُغْنيكَ عـن زُحَـلِ

إذْ قد **أدْركْت والدَنا** رضي الله عنه، فقد حدَّثَني رضْوانُ الله عليْه غَيْرَ ما مرَّة، وأنتَ شاهدٌ، أنَّه نَشأ فيما ينْشأ فيه مِثْلُه من أطفال أهْل الحرْب، من مُعاناةِ المَعِيشةِ وكدِّ العِيالِ، في شظَفِ العيْش، وشُغْلِ البَال، مُوَافَقَةَ مَسِيرِ إخْوَتِه طَلَبَةً، فمَا زالَ كذلك حتى بَلَغَ، وهو على تلك الحالة، لم يكتسبْ عِلْمًا، ولمْ يُطالعْ...قال: بلغت مبلغ الرجال، وليس لي إلا التمسك بآية: ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾، واعتماد حديث: «من عَمِلَ بما عَلِمَ أوْرَثهُ الله عِلْمَ ما لمْ يعلم»"، مع علو الهمة ونفوذ العزْمة...

وقال رضي الله عنه وأرضاه، وجعل نصيبنا منه أوفر نصيب وأوفاه، وذلك من صدق التوجه، مع العمل بمقتضى العلم، كائنا ما كان، كما قيل:

لكـــنَّ سِرَّ الله في صـــدْق الطلـــبْ كـمْ رِيء في أصْـحابه مَـن العَجَـبْ

وقال: فلما توفيت الوالدة -رحمها الله- أعملتُ الرِّحْلة إلى الشيْخ الكامل: الشيخ سيدي، ما شاء الله، فأجازني، وشيَّعني إلى الأهل».

ورغم أن **آدب** لم تكنْ له رِحْلَةٌ في طلَبِ العِلْم، غيْر رِحْلتِه هذه إلى حضْرَةِ الشيْخ سيدي، والتي لم تتعد حوالي ستة أشهر فقط، فقد تكللت بإجازته، 1265هـ، **(في الأوراد القادرية، والأحزاب والتوجيهات المحمدية والمختارية، أخذا وعطاءً وروايةً وإرْواءً، بالشرْط المَألوف والسَّنَنِ المَعْروف خَلَفًا عن سَلَفٍ...**

حيث يقول: **«وأجزتُه أيْضا فِيما تحَصَّلْتْ وتتحصل فيه أهْليَتُه من العلوم الشرْعية أصُولِها وفرُوعِها ومَقاصدِها ووسائِلِها على نحْوِ مَا أذِنَ لِي وأجازَنِي فيهَا شيْخُنا الخليفةُ سيدي مُحمد...».**

ونظرا لأنَّ مثْلَ هذه الإجازاتِ لمْ يكنْ المَشايخُ العُلماءُ الأتْقياءُ يمْنحونَها جُزافا، كما تُمْنَحُ اليوْمَ بعض الشَّهَادَاتِ العُليا، فقدْ أوْضَحَ الشيخُ سيديَّ المُرْتَكَزَاتِ التي أسَّسَ عليْها حُكْمَه بالأهْلِيَّةِ المُزْدَوجَةِ للمُرِيدِ المُجَازِ في المَعَارِفِ الصُّوفية، والعُلوم الشرْعِية مُطلقا:

«وإنَّما أذنتُ له وأجزْتُ له؛ لِمَا لاحَ لِي فيه من لَوائحِ الصلاحِية للتقديم، ولِمَا شمَمْتُ فيه من روائحِ الخُصوصية المُمْزُوجَةِ بالصِّدْق والتسْلِيم».

وعلى **المنهج** درج الابن الأكبر: **سيدي**؛ فقد قلَّدَ والدَه وشيخَه الوحيد: **آدب**، في الاعتقاد بجدوائية المدد الوهْبي، أكثر من الكد الكسْبي، متبعا إياه في عدم الرحلة الخارجية لطلب المعرفة والعرفان، والاكتفاء الذاتي بقاعدتي: الآية الكريمة: ﴿**واتَّقوا اللهَ ويعلمكم الله**﴾، والأثر«مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ أوْرَثَهُ اللهُ عِلمَ مَالَمْ يَعْلَمْ»، إضافة إلى رضى والديه، ففي إطار رده على أخيه **محمد لحوار**، الراغب في الرحلة طلبا للعلم، يحاول ثنيه عن ذلك بضرب المثل له **بوالدهم آدب**، حسب ما تقدم، ثم بتقديم **نفسه له مثلا آخر**، يمكن أن يعتدَّ به، فيقول:«**أما أنا** فليس الخبر كالعيان، وليس الصادق كمن حدث ببهتان، فقد شاهدتَ موارد أمري ومصادره، وذلك أني نشأتُ زمن الصبوة راغبا في التغرُّب، والابتعاد في التطلُّب، فجعل والدنا رضي الله عنه يسوسني بسياسة عجيبة، ويَعِدُني بالمساعدة على ذلك، وينشر لي أحوال طلبةِ العلم في جميع المسالك، مع اطِّرَاحِي بين يديه،.... والعمل بمقتضى ما يشير به ويقضيه، حتى أطلعني الله من فضله عليه، وقصرتُ همَّتي على الشوق إلى ما لديه من علم، فوصلت إلى ما إليه من فضل الله وصلت، مما لا أنكره امتثالا لأمر الله،... ولا أذكره بين يدي من قلد هواه، وتولاه، "فظُنَّ خيْرا ولا تَسْأَلْ عنِ الخَبَر"[1]، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها».

[1]- شطر بيت لعبد الله بن المعتز، أوله: **قد كان ما كان مما لست أذكره.....**

وهكذا لم **تنخرم هذه السنة في الشيخ أحمد بن آدب**، حيث وصل إلى ما إليه وصل بطريقة أخيه وأبيه معا.

ويبدو أنه بعد **وهبه الشامل الموعود به** من طرف **والده آدب**- حسب ما سبقت إليه الإشارة من هدهداته إياه في صباه- قد كسب ما كسب في كنف **أبويه** العالمين العارفين معا: **آدب** و**السعيدة** بنت ألمين الجيد، ثم أضاف إلى ذلك ما اكتسبه من **أخويه** العالمين العارفين أيضا: **سيدي** و**محمد لحوار**، وخصوصا **سيدي**، الذي كان **شيخ الأسرة** بعد الوالد **آدب**، فقد بدأ يسوس أخاه الأكثر تدليلا بينهم، حتى شكى إليه بعْضَ جُموح نفْسه، إلى شهَواتِها، فخاطب أخاه الأكبْر الذي يراه شيخه الأوحد:

يَعُـودُ الســلامُ، الحافِـلُ، الأوْفَـرُ، ... إلَى سَيِّدِي "سِيدِيَّ" وَالِدِيَ الأحْنى
الأسْـــــــــــــــــــــنى ... وطلَّاعِ تلِّ المَجْدِ.. وهْـوَ لـه مَغْـنَى
ثِمَالِ اليَتَـامَى، بَهْجَةِ العصْـرِ، نُـورِه ... ومَرْمَـى عِصِيِّـ السـيْرِ الأقْصَى ـ أوِ
وشَافِي مُرُيـدٍ، مِـنْ مَـرِيـد، بنظْـرةٍ ... الأدْنَـــــــــــــــــــــى
بَأنِّي لمْ أرْدُدْ.. لِنَفْسِيَ.. عنْ هـــوًى ... ولمْ- سَيِّـدِي- يَرْدُدْ هَا رَبُّها الأغنَـى

---

[1]- **الأحْنى**: الأرأف والأعطف. **الثمَال**: الملجأ والغياث. **الـمَغْنَى**: المنزل الذي غني به أهله. **تاقَتْ**: اشتاقت.

[2]- لقد استحضر هنا قصة رجل من تميم كان أسيرا عند قوم، فسمعهم يتحدثون عن عزمهم على غزو قومه، فطلب منهم السماح له بإرسال رسالة إلى أهله، فاشترطوا لذلك أن يسمعوا الرسالة، حتى يتأكدوا من خلو محتواها من أي إنذار، فكان من ضمن وصاياه لهم:

"... وأن يعروا **ناقتي الحمراء** فقد أطالوا ركوبها ويركبوا **جملي الأصهب**... فلما وقفوا على الكلام.. قالوا جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جملا" .... ثم دعوا أحد حكمائهم " فلما قصوا عليه القول قال أنذركم... والناقة الحمراء **الدهناء**، والجمل الأصهب **الصمان**، يقول اعدلوا عن السهل إلى الجبل..." انظر: داود بن عمر الأنطاكي: **تزيين الأسواق في أخبار العشاق**، ص191.

وقد كانت **الوصفة الشافية قصيدة "سيدي"**، التي فعلتْ فعْلَها الخَارِق، فِي **نفْسِيةِ الشيخ أحمد**، وفِي سُلوكِه، حيث سُمِّيَتْ هذهِ القصيدةُ فِي أوْسَاطِ تَدَاوُلِهَا: بـ "التربية":

عَتَبْتُكَ، فاهْنأ، لا عِتَـابَ.. ألا فاهْـنا ... ومأْتاكَ - أيًّا كانَ- عنْدي هو الأهْنَا
أُحِبُّ الــذِي أحْبَبْـتَ.. غَـيْرَ مُحَـرَّمٍ ... وأبغضُ ما أبْغضتَ بالحِسِّ، والمَعْنَى
وأبذلُ.. مَـالِي.. في رضـاكَ.. وكلَّـما ... حَمَيْتكَ.. لمْ أمْنَعْهُ حِرْصًا.. ولا ضَـنَّا
ولكن، لأمْرٍ.. لمْ أُكَلَّـفْ.. بنـشْـرِه ... مَغَبَّــتُه محْمُــودَةٌ.. لَمِــنِ اسْــتَأْنَى
وما خِلْتُ تصْـرِيفي لأمْـرٍ.. مُخَالِفًـا ... هوَاكَ.. كَمَا عنْدِي هَوَاكَ مُنًى حُسْـنَى
وحَاشَى.. ويَأْبَى اللهُ.. تقليدَكَ الهَوَى ... وطَوْعَكَ قِتْلا، مُفْسِدًا، غيْر أنْ يُنثْنَى
فرُضْها، وذُدْها عنْ هواها.. وزَكِّهـا ... ولا تُعْطِها نَيْلًا.. تَنَلْ مَـا به تُعْنَـى!
لأنَّ بظَلْفِ النفْسِ.. عن شهواتِـــها ... يَنَــالُ الفَتَــى.. المَــأْمُولَ - فِي اللهِ-
ولا عِــزَّ.. إلا بَعْــدَ إِذْلَالَ مُهْجَــةٍ ... والأَمْنــــــــــــــــــــا
فتلْكَ سَبِـيلُ الحق.. قامـتْ بقوْمِهـا ... ولا رَاحَةٌ- دُونَ العَنَا- ثَمْرُها.. يُجْنَى
وما حـازَ قَصْـبَ السَّـبْقِ إلا مُشَـمِّرٌ ... ومَـنْ لمْ يُقِمْهـا.. لا يُقِـيمُ لَـهُ وزْنـا
وأَلْقَى حُظوظَ النَّفسِ، ظِهْرِيـةً.. ولمْ ... قدَ آثرَ.. ما يبْــقَى.. على كل ما يَفْنَى
وضمَّرَ طِرْفَ العـزْم، لمْ يـثْنِ طَرْفَـه ... يعرِّجْ على كــأسٍ.. سقتْه.. له.. وهْنا
وجَدّ سَبيلَ القَوْمِ.. لمْ يــأْلُ.. قاطِعا ... إلَى غيْرِ مَطْلُوبٍ.. أمَامَ.. لهَا اسْتدْنى
تلاشَـى.. لدَيْهِ الكوْنُ.. ينْحُو مكوِّنا ... صَحَاصِحَها، والمَهْمَهَ القَفْرَ، والدَّهْـنا
ولمْ يتَّخِذْ - غـيْرَ المُهَـيْمِنِ- صـاحِبًا ... فقدْ هَجَرَ الأفْراحَ، واسْتَصْحَبَ الحُزْنا
هنالكَ.. يَحْـظَى.. بالذي هُـوَ آمِــلٌ ... ولا دُونَ مـا يخْشَـى- سِـوَى ذِكْـرِهِ-
وتصْـحَبُه - منْـهُ- العِنَـايَةُ.. كائِنـا ... حِصْــــــــــــــــــــنا
وتُطْوَى له قُصْـوَى المَفَـاوِزِ.. مُلْقِيًـا ... ويَصْـحَبُه التَّيْسِـيرُ.. فِـيمَا لـه عنَّـا
له- في المَرَام- العوْنَ، والبَدَ، والأُذُنا

على نحْوِ هذا، فانْحُ، إنْ كنْتَ ناحِيًا ولا تَرَ شأْنًا.. غيْرَ مَـا شَأْنُـهُ شـأْنا
لتبلغَ أقْصَـى مـا تُريـدُ.. وتقْتَفـي وَرَاثَةَ مَنْ أغْـنَى مُحِبَّيهِ.. مَنْ أقْـنى
عليْـه صَـلَاتِي.. مَحْـوَ ذنْـبٍ.. بتوْبَـةٍ ومَـا زهْزَهَتْ أرْوَاحُ شَامِيةٍ غُصْـنَا[1]

وهكذا **استتب الشيخ أحمد** – بعْدَ هذه القَصِيدة– على طريق **"القوم"**، مرتقيا **"في مَدَارج السالكين"**، حتى أصبح وريث أخيه **"سيديّ"**، في مشيختي **العمامة، والزعامة**، وصار **"شيخ المشايخ"** كما وَصَفَهُ سيديّ نفسه في شعر سابق.

وكما أن **آدب** عزز **وهْبه** المأثور، برحلة كسب قصيرة لنيل مزيد من **"الوهْب"** عن طريق حضرة **الشيخ سيدي**، فإن **ابنه الشيخ** أحمد، سعى لتعزيز ما ناله وهبا، برحلة مماثلة لرحلة والده **آدب**، إلى أهل **الشيخ سيدي**، لكنه جعلها **"زيارة بالمعاني** دون الرسوم"، حيث عاقتْه الظروف عن القدوم، فكتب إلى **الشيخ سيدي باب** مستوْهبا منه **الجمْعَ بيْن المشيخات** كلها، **مثْنى، وثُلاثَ، ورُباعَ**، حسب ما يقتضيه تنوع المثنيات، كاتبا:

«أما بعْد، سَيِّدي، لازالت تهشُّ إليكمْ النِّعَمُ الجَليلة ويبشُّ ويَتَنَسَّمُ نحْوكمْ نسيمُ السعْد ويتجسم، ويتوسَّمُ وجُوهكمْ ناظرُ الودِّ ويتبسَّم، **فاعلم، سَيِّدي** – وإنْ كنْتَ الغَنِيَّ عن الإعلام، بما أطلعكَ الله عليه من خفايا الأنام– أنِّي وإنْ عاقت العوائقُ عن القدُوم، صَحَّحْتُ **الزيارةَ بالمَعاني** دونَ الرُّسُوم، ومن أجْل ذلك **أطلُب** منكمْ **الجمْع بيْن الضِّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَنَتَيْن**، والحُصولَ على كِلْتا

---

[1]– **رُضْها**: من راض يروض المهر– طوعها وعلمها السير والسباق. وراض النفس بالتقوي طوعها عليها. **ذُدْها**: من ذاد يذود: حمى ودافع وطرد. **ظلف** النفس: زجرها وقمعها. **آثَرَ**: فضل واختار. **ظِهْرِية**: تجعلها بظهر أي تنساها. **عرِّج**: مال. وعرج بالمكان نزل به، وتوقف عنده. **الطِّرف: الجواد** الكريم الأصيل. **يـأْلُ**: يقصر ويفتر **صَحَاصِح**: أراض مستوية جرداء. **المَهْمَه**: المفازة البعيدة والبلد المقفر. **الدَّهْـنا**: صحراء واسعة في الجزيرة العربية. **المَفَاوِز**: الصحارى والأراضي المقفرة. **بُوِّئَ**: أنزل مكانا عليا. **أقْـنى** أرضى. **زهْزَهَتْ**: حركت.

السعادَتَيْن، والفوْزَ بكلا **الفَخْرِيْن والعِزَّتَيْن**، ما **لا يُوصلُ إليه**، ولا يُحْصل عليه، إلا **بمحْض فضْلِ الله** وعِنايَته، **وبركة التعلق بخاصَّتِه** من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه.

ثم ليكنْ في كريم عِلْمِكَ أيها الأكْرمُ الأرْحم، الأرفق، الأَرْأَف الأعطف الأشفق، **أني طرحتُ نفْسي بين يديْكَ**، وألقيْت مَقاليدَ أمُوري إليْك... **ومُرَادِي لَفْتَةٌ صَمَدِيَّة**، ممَّنْ قُدِّسَ في أزَل الأزليَّة، برحِمة الرحْمانية... **تنيرُ صدْرِي، وتُنِيفُ قدْري**، وتبلِّغني من **كلِّ خيْر**، ما دريْتُ وما لا أدْري"[1].

هكذا **بعد هذا التأسيس** حقق **الشيخ أحمد** بن آدب **الجمع بين المشيختين**، بكل ما ينضوي تحتهما من مقومات **مشيخات أخرى** تلتحق بهما غالبا.

1- الشيخ الصوفي: تربية الشيخ وشيخ التربية

المدرسة الآدِبِيَّة، تنطلق من "مفهوم المقاومة الأخلاقية"[2] الذاتية، الذي أفردت له كتابا في أدبياتهم، حيث يتجه شيوخها، مبدئيا إلى تربية أنفسهم، **تخليةً** من الرذائل، و**تحليةً** بالفضائل، إذ أدركوا - بترْبيتهم الروحية العريقة - أنَّ معركة بناءِ الشخصية السَّوِيَّةِ، وتعْزيز السلوك المستقيم، تبدأ من داخل كيْنونَة الإنْسان، قبْل أنْ تشرعَ أسْلحَتها إلى الخارج/ إلى الآخر، وهكذا نجد **عبد القادر (آدب) بن سيد الأمين**، رب هذا البيت، يقدم نفسه **لشيخه الشيخ سيدي**، في مستهل رسالته إليه، باعتباره:«**ممَّن طغتْ به نفسُه** فألقتْه في مَهَاوِي الضلال، وغَلَبَه شَيْطانُه فصَدَفَ به عن طريق الرِّجال أهْل الكمال. **ومَلَكَهُ هَوَاهُ**، فأدْخَلَه فيما يُسْخِطُ عليْه مَوْلاهُ، وتمَكَّنَ منْ قلبه حُبُّ الدُّنْيَا فامْتَلأَ من العُجْب، والسمعة، والرِّيَاء، وغير ذلك وغير... ممَّا لا يُحيطُ به إلا العليمُ الخَبير، العبيدُ الفقير الحقير، الذي هو في

---

[1]- هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكتته من كتاب: **الأخبار** "المدون" ص 134.

[2]- أدي بن آدب: **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020 م.

أيدي ما تقدمَ ذِكْرُه من الأعْداء أسير: **عبد القادر بن سيد الأمين**، خلَّصَه الله بجاهكم من أسْر النفس، والهوى، والدنيا، واللعين»[1].

وهكذا نرى مَراصِدَ الوالد **آدب**، تتوجَّهُ مَراياها العاكسة إلى ذاتِه، قبْل غيْره، وتشخِّصُ مأزَقها الصعْبَ، في مَقام **"النفْس اللوَّامة"**، مُنْصَرِفَة عن **"النفْس الأمَّارَة"** المرْهوبة، إلى **"النفْس المُطمئِنَّة"**، المرْغوبة، قارعا جرس الإنذار لذاته، قبل أن يقرعه لغيره، قائلا:

ألا أيُّها العبْـدُ.. الكَسِـيرُ.. المَهِـيضُ — ألمْ يَـانِ- بعْـد الشـيْبِ- منْـكَ..
ألمْ يَانِ أنْ تسْلُو.. ولِلـنَّفْسِ- بعْـدَما — نُهُـــــــــــــــــــــوضُ؟!
وتأخُذَ -منك-الجَهْدَ.. دَأبًا.. مُشَمِّرًا — طغتْ، جَهْدَها، واستخْدَمَتْكَ- تَرُوضُ؟!
رَأيْتُـكَ لم تَسْـتَحْي بِيضًـا، تلامَعَـتْ — ومَالكَ- في ليْـلِ الـتَّمام- غُمُـوضُ!
فَهَيِّـئْ.. دَواءً.. حمْيَـةً.. وعَقائـدًا — برَأْسِـكَ.. أنْ يَقْتَـادَ قَلْبَـكَ بِـيضُ!
فبَادِرْ ولا تشْغَلْكَ "سوْفَ" و"عَلَّمَا" — تَنَالُ - بِها- بُـرْءًا.. فأنْـتَ مَـرِيضُ!

وعلى هذا المَنْهج تبعَ البَنُون أبَاهم، و**"من شابهَ أباهُ فما ظلم"**، حيث وجدنا هناك نصا- في هذا السياق نفسه- عانق فيه صوتُ **"سِيدِيّ"**، صوْتَ **"آدبَّ"**، حين **قام الابنُ بتخْميس أبْياتِ الوَالد**، في السياق نفسه، **والحقيقة** أنَّ هذا هو **الموضوع الأثيرُ** عند جميع أفراد **"بيْت أهل آدب"**، فهذا **مُحمد لحوار بن آدبَّ**- أيضا- يرفعُ أنَينَ روحه- **في مَقام العُبودية** ذاتِه- شاكيا إلى الله كثافة رَيْنِ الذنُوب، على مِرْآةِ نفْسِه، مُشْفِقا من هاجسِ القطيعةِ معَ لذيذِ صِلَتِه بربِّه:

---

[1] – هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكتبه من كتاب: **الأخبار** "المدون"، ص 96.

[2] – **المَهِيضُ** من العظام: المكسور بعد الجبر. **يَـانِ**: يحين. **تسْلُو**: تنسى، ومعنى يسلو أيضا تطيب نفسه بعد فراق. **الغَضِيض الطرف**: المسترخي الأجفان. المغضوض البصر.

عبْدٌ.. شَجَاهُ.. لَمَا رَأَى.. مِن حالِهِ حذَرُ القطيعةِ من لذيذِ وِصالِهِ
عبْدٌ.. تَرَاكَمَ.. مِنْ كَثَافَةِ رِيْنِه بحِجاهُ.. جَالِبُ حتْفِه.. ووَبَالِهِ
فإذَا تَرَاكَمَتِ الهُمُومُ.. فحَسْبُه ربٌّ يَرَى مَا لا يُرَى مِنْ حَالِهِ[1]

ويزيد أيضا:

من سُوءِ ما عملتْ نفْسِيَّ، مُكْتَرِبٌ فرِّجْ كروبي، إلهي، فارجَ الكُرَبِ
واغفِرْ-إلهي- ذنوبا، كنت أفْعلُها واصفحْ، وسامحْ، عن اللذاتِ، والطربِ

وهكذا يبدو أن شبابَ هذه الأسْرة ينْزَعُ إلى الفُتُوَّةِ، بكلِّ تجلِّياتِها، ولكنَّه سرْعانَ ما يُدْركُ **"أنَّ منْ يَتَّقِي اللهَ البَطَلْ"**.

ففي مقام تقريع النفس وتربيتها، **يعزف الشيخ أحمد**، على وتر تأنيب الضمير، والشعور بالتقصير، حتى بعدما ترقى في مدارج السالكين، وأصبح "شيخ المشايخ"، حيث يقول مخاطبا نفسه:

فيما انهماكك في اللذات والطرَبِ إلى متى أنت في لهو، وفي لعبِ؟
يراكِ مولاكِ، فيما قد نهاكِ، معًا أوبي، أما لكِ معْ موْلاكِ من أدبِ[2]**؟**

والحقيقة أن **الشيخ أحمد** لم يكن هو -ولا أي واحد من أسلافه- يدعون **"الوصول"**، ولا **"الحال"**، ولا يقترفون **"الشطْح"**، الذي يتبجَّح زاعموه **بالتصريف في الكون**، وغيره من صنوف الهرطقة والتجديف. بل إنهم - لله الحمد- لا يرون أنفسهم إلا في مقام **العبودية**، و**الإشفاق من الذنب**، فـ **"آدب"** كبريهم الذي **علمهم التعبد بالعبودية**، ينادي نفسه:

ألا أيُّها العبْدُ.. الكَسِيرُ.. المَهِيضُ ألمْ يَانِ- بعْد الشيْبِ- منْكَ.. نُهُوضُ؟!

---

[1]- **بحِجاهُ**: بعقله. وَبَالِه: **الوبال**: الشدة والضيق وسوء العاقبة.

[2]- **أوبي**: من آب يؤوب إذا رجع وعاد.

وابنه محمد لحوار، يتحدث عن نفسه هكذا:

عبْدٌ.. شَجَاهُ.. لَمَا رَأَى.. مِن حالِهِ حـذَرُ القطيعـةِ مـن لذيـذِ وِصـالِهِ

والشيخ أحمد -أيضا- يحقق **عبوديته** في مطلع هذه القصيدة، ويحول وفقة الشعراء المألوفة على أطلال الأحباب، إلى وقفة بكاء على أطلال الذات، ومعاهد الذنوب:

عبْدٌ عَلَا الشـيْبُ فَوْدَيْـهِ ومـا كتمَـهْ لـو كـانَ يُمْكِنُـهُ كتْمانُـهُ كتَمَـهْ
بـلْ لا بَقَـاءَ للَيْـلٍ كـانَ حَادِيَـه صـبْحٌ مُنـيرٌ عليْـهِ نـاشرٌ عَلَمَـهْ
البِيضُ يُنْكِرْنَ مَا قد كان مِنْكَ، فخُـضْ بَحْرَ السُّـلُوِّ، وَذَرْ مـا كُنْـتَ مُغْتَنِمَـهْ
وابْكِ الشبابَ، ووصْلُ البِيضِ مَأْتَمُهُ أقِمْهُ - وَيْكَ- وَخَلِّ العَيْنَ مُنْسَجِمَهْ
بل بالبكاءِ أحَـقُّ الـذنْب، فابْـكِ لـهُ وعَدِّ عـمَّا مـضَى، لا ترْتكِـبْ زِيَمَـهْ
نُـحْ نـوْحَ أمٍّ وَحِيـدٍ إذْ تصـابُ بـه ودَمْعـكَ، الـدَّهْرَ، منـه اسْـتَمْطِرَنْ

وبمقام العبودية، يفتتح قصيدته هذه، ويختتمها أيضا، نادما على ما كان في فتوته:

ألا مَـنْ لعبْـدٍ في الهـوى وقرُونِـهِ بدَا الفجْرُ قـسْرا مـن ليـالي قُرونِـهِ؟
فلـيْس لـه إلا الإلـهُ، وعَفْـوُهُ وخَلْـعُ رِدَاءيْ لَهْـوِهِ، وَمُجُونِـهِ
ويَعْبُـدُهُ حَـقَّ العِبـادة مُخْلِصـا يُراقـبُ- في الآنـاءِ- وقْـعَ مَنُونِـهِ
جُنونُ الشبابِ الغضِّ- في الشيْب- ومـا بَعْـدَ شـيْبِ المَـرْءِ بُـرْءُ جُنونِـهِ
سُـبَّةٌ وَتـذْكَارَ لَـذْعَاتِ الهـوى وَفُنونِـهِ
فـدَعْ ذِكْـرَ أيـامِ العُـذَيْبِ، وبـارِقٍ وَحَاجِبِ مَنْ تهْوَى، وَتقْـويسِ نُونِـهِ

---

[1]- **فَوْدَيْه**: الفود: جانب الرأس مما يلي الأذن. **حَادِيَه**: الحادي: الذي يسوق الإبل بالحُداء، والحداء هو الغناء للإبل. **خُضْ**: ادخل واندفع وأسرع واقتحم. **ذَرْ**: اترك وتخل عن الأمر. **زِيَمَهْ**: متفرقاته، أو غاراته. **دِيَمَهْ**: الدِّيمة: المطر يطول زمانه في سكون والجمع.

وخَلِّ سَبيلَ الأحْورِ الرَّشَأِ الذي ... إذا لمْ يكنْ بدْرًا فليس بِدُونِهِ
ولا تُرْسِلَنْ طَرْفًا إليْهِ فإنَّه ... يُحَاكِي شعاعُ الشمسِ ضوْءَ جَبينِهِ
إذا لمْ تَغضَّ الطرْفَ عنه وتَتَّقِي ... حبائلَهُ أصبحتَ طوْعَ يَمِينِهِ
وحسْبُ امْرئٍ يرْجو النَّجَاةَ وسُبْلَها ... إذا كان ذا عقْلٍ يَفِرّ بِدِينِهِ
فيا رَبِّ، عبْدٌ تسْتَهِلُّ شُؤونُهُ ... على حوبِه، أصْلِحْ له مِنْ شُؤونِهِ
تراهُ على ما كانَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ ... يَخَافُ ويرْجو منْكَ حُسْنَ ظُنُونِهِ[1]

والحقيقة أن **الشيخ أحمد بن آدب** منذ تجاوز مرحلة "**جنون الشباب الغض**"- كما يسميها- لا يكاد يكف عن **تقريع نفسه**، في **مقام العبودية** نفسه:

عَبْدٌ سَفِيهٌ كفَاهُ اليوْمَ أنْ بَاعَا ... باقٍ بفانٍ يَظُنُّ الربْحَ فانْبَاعَا
أطاعَ نفْسًا لجُوجًا في الهوى جَمَحَتْ ... مَنْ يُعْطِهَا الشِّبْرَ تَأْخُذْ عنْوَةً بَاعَا
إبْلِيسُ، دُنْيَا، هَوًى، نفْسٌ له خَبُثَتْ ... قَسَّمْنَهُ بيْنَهُنَّ اليَوْمَ أرْبَاعَا[2]

وهكذا من خلال **تربية الشيخ أحمد لنفسه** كان **يربِّي غيره**، فكأنه اكتفى بخطابه لنفسه بهذا التوجيه والتأنيب، عن خطاب مُريدِيه، وتوْجيههم، حيث لم ير نفسه خارج **مقام العبودية**، ولعلَّ الخطاب الوحيد التوجيهي الذي وجدت له، كان عبارة عن رسالة، إلى ابن عمه ومُريده: **سيد الأمين** الملقب"**خُ**" بن سيد أحمد بن سيد الأمين **زعيم أولاد بوسيف** الكنتيين في **الحوض الشرقي**، يستهلها باعتبارها نصحا لنفسه، قبل أن تكون نصحا للمخاطب، كما يختمها بطلب الشيخ الدعواتِ الصالحةَ من قِبَل تلميذه، ووصيته على ذلك، حتى بعد موته، إن نُعيَ

[1]- **مَنُونِهِ**: موته. **الآناءِ**: ساعات من الليل. **لَذْعَاتِ**: ما قرص وآلم. **اللَّمَى**: السمرة في باطن الشفة. **المَبْسَم**: الثغر والفم. **الأحْور**: من الحور، وهو اشتداد بياض العين مع اشتداد سوادهما. **الرَّشَأ**: ولد الظبية.

[2]- **لجُوجًا**: كثير اللجاج، وكثير الإلحاح، وهو العنيد أيضا.

إليه، حيث كان متضايقا من الحياة في عصره، ومستشعرا لقرْب الرحيل، إذ يقول فيها:

«**هذا وإنه بالسلام التام**، الطيِّب العام، والرحْمة والبَرَكَةِ والإكْرام، من عبْد موْلاهُ الفقير إليْه المُعَوِّلِ فِي كُلِّ الأمُور عليْه: **أحمد بن سيده عبد القادر، إلى اللبيب الأريب** في المَوارِد والمَصادِر، الحاذق الفَطِين، ذِي السَيْبِ في شُهْبِ السِّنِين، أعْني **سِيد الأمين بن سيد أحمد بن سيد الأمين**، وقانا اللهُ – وإياهُ– كيْدَ اللَّعِين، وجَعَلَنَا بالدِّينِ منَ المُعْتَنِين، **وإنَّه، بحمْدِ الله إليْكَ**، الذى لا إله إلا هو، **والوَصِية لنفْسي ولكَ بتقْوَى الله** العظيم، و**عدَمِ الرُّكُونِ إلى الدنْيا** والميْلِ إليْها، وتَوَقِّي حَبَائِلها التي تصْطادُ بها مَنْ مَرَّ حواليْها، إذ هِي أسْحَرُ منْ "**هَارُوت**" و"**ماروت**"، وليس لصاحِبها المُقْبِلِ عليْها إلا أنْ يَكونَ لا يَمُوتُ، واسْتعِذْ منْ شرِّها بالله ربِّكَ، **وما وَجَدْتَ مِنْهَا فاجْعَلْهُ بيدِكَ، أخْرجْه من قلْبِكَ**، إذْ بُعْدُ مَا بيْن الدنْيا والآخِرة، بُعْدُ ما بيْن المَشْرق والمَغْرب، **ولا يَصِحُّ إمْساكُها لسَالكِ طريقِ الآخِرَة**، إلا بعْد القدْرة على إمْسَاكها فِي يَدِه، وإخْرَاجِها منْ قلْبِه، فإذا بَلَغَ ذلك، فلَهُ أنْ يُمْسِكَها، وَيفْعَلَ فيها ما يشاءُ، ويتصرَّفَ فيها كيْف شاءَ؛ لكوْنها صارتْ لا لُمِباهاةٍ، ولا تكاثُرٍ، ولا تفاخُرٍ، بل لعِفَّةِ النَّفْسِ عنِ السُّؤالِ والنفقَةِ علَى العِيال، وتأديةِ ما فرَضَ اللهُ فيها من الحُقوق، واعلمْ أنَّ هذا الزّمان الصَّعْبَ الذي صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ صبًّا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي لا يَنْفَعُ فيه إلا الإقْبال على الله تعالى، ودوام اللُّجُوء إليْه، والدُّعاء، والانْكسار، والتذلُّل، والخُضوع، والصَّدَقَةِ في كلِّ عارضٍ يعْرِضُ من كسْبٍ طيِّبٍ، ومَهْمَا غفلَ الشَّخْصُ عن هذيْن المَذْكورَيْن آنفا فقد تُوُدِّعَ منْه.

وإنْ أتاكمْ نعْيِي فلا تنْسَوْنِي من الدُّعاء، والصدَقة، فإنِّي غريبٌ الآنَ في هذا الزمَنِ وأهْله، ولا آخذ منْهم خَبَرا، ولا أجِيبُ أحَدا منْهمْ عنْ مَسْأَلَة. **ولا بُدَّ من مَجْمُوعٍ فيه ما يُحْتاجُ إليْه أوْ بعْضُه أؤلفُه لكم**».

ولعل هذا الختام مهم لأن فيه استشعارا لضرورة، الانتقال من الاكتفاء **بتربية الشيخ لنفسه**، إلى **مقام شيخ التربية**، الذي يواكب تلاميذه بالتوجيهات الضرورية، لا سيما في ظل ذلك **"الزّمان الصَّعْبَ** الذي **صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ** صبًا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي"، كما وصفه، ورغم أني لم أجد أثرا لذلك المجموع الموعود، فإن هذا **الشيخ/ العبد/** ، المشغول بتربية نفسه، لم يزده تواضعه لله، إلا رفعة في عيون عباده، حيث كان جل تلاميذه ومُريدِيه الكثيرين، من مشايخ مجتمعه، روحيا وسياسا، إذ كان مرجعية الطريقة القادرية داخل فضاء كنتة الغربيين عموما؛ فمثلما كان والده **عبد القادر "آدب"، شيخا** في فضائه الجغرافي الاجتماعي الواسع، حيث عُدَّ- حسب روايتنا الأسرية- من ضمن **مريديه: ثلاثة** من **أبناء باب أحمد** بن الشيخ **سيدي المختار الكنتي**، هم: **سيد مْحمد** الملقب بـ**"أج"**، و**عابدين**، و**البكاي**، هكذا كان **تلاميذ الشيخ أحمد**- حسب روايتنا الأسرية أيضا- من **أبناء الشيخ سيدي المختار الكنتي**:

1- الشيخ بن عابدين بن باب أحمد بن الشيخ سيدي المختار، وأولاده الثلاثة:

أ- باب أحمد بن الشيخ بن عابدين.

ب- البكاي بن الشيخ بن عابدين.

ج- السبقه بن الشيخ بن عابدين.

ومن **أبناء الشيخ سيدي محمد الخليفة** بن الشيخ سيدي المختار الكنتي كان من تلاميذه:

2- الشيخ (**الديه**) بن باب بن سيد مْحمد الكنتي بن الشيخ سيد محمد الخليفة.

ومن أولاد بوسيف:

3- العالم الجليل: الجيلي بن أحمد انبسيف في تگانت.

4- حم بن سيدي بن آدب في البراكنة.

5- محمد بن أحمد اسْقَيِّر في الحوض الشرقي.
6- مَزِينُ بن محمد للمختار.
7- ديْري بن مان.
8- سيد الأمين الملقب: "خُ" بن سيد أحمد بن سيد الأمين زعيم أولاد بوسيف في الحوض الشرقي.

ومن **أولاد سيد حيبله في تگانت**:

9- زعيمهم العام: أحمد بن سيد مْحمد بن أحمد.
10- عمار بن مْحمد بن محمد لحمد.
11- أخوه: الشيخ بن مْحمد.

ومن أولا البح(أولاد سيد حيبلّه)

12- أحمد بن الشيخ بن بدَّه، المشهورب "حبَّاس السيْل"، أحد "الضُّمَانِ"، المعتبرين.
13- أخوه: محمد المختار بن الشيخ بن بدَّه.

ومن أولاد التناكية (أولاد سيد حيبلّه):

14- حمود بن لمرابط.
15- أخوه محمد المختار بن لمرابط.

ومن **أولاد سيدي الوافي** في تكانت أيضا:

16- زعيمهم: "اجَّ" بن أحمد بن محمد محمود بن أمينوه.
17- محمد الصغير ولد ودادي.
18- عيشة الصغيرة بنت ودادي.

ومن المتغبرين:

19- عبد الله بن شماد.

ومن أهل الأزرق:

20- الشيخ بن أنَّ زعيم جماعته.

ومن **زعماء أولاد الناصر في الحوض الغربي:**

21- اعمر بن حبيب.

22- عثمان بن بكار.

ومن تركز:

23- محمد محمود بن سيد المختار التركزي.

ومن **تاكنييت:**

24- الشيخ سيد محمد التاكنيتي، قضى معه 80 يوما، وقد أحبه، «وتعلق به تعلقا لم يحدث له مع غيره؛ لما رأى فيه من الصراحة، وحسن المكاشفة»[1].

والحقيقة أن **الأولى** هنا هو **حصر من ليس تلميذا للشيخ أحمد بن آدب**، إذ لا يكاد يومئذ- يوجد في ذلك المجال الجغرافي، والفضاء الاجتماعي المترامي الأطراف ما بين تكانت والبراكنة، والحوضين من ليس تلميذا له، وما علمت لكنته- في عصره- شيخا غيره أبدا، ولكنني أضربت صفحا عن ذكر الكثير تجنبا للحساسيات المُسْتَجِدَّة، في الأخلاف بعد الأسلاف، مع أن التلمذة كانت- في نظر تلك الأمة الخالية- شرفا، وسعيا للكمال، لا منقصة، كما أصبحت عليه الآن.

وأذكر- في هذا الصدد- أن أحد الإخوة، أواخر تسعينات القرن الماضي، تَرْجَمَ لي- شفويا- تقريرا فرنسيا، كان كاتبه يحلل توازنات الوضع السياسي الاجتماعي لشيوخ كنته في تگانت، فكان يربط مدى قوتهم وتمكنهم بمدى قربهم الروحي، أو الاجتماعي، من الشيخ أحمد بن آدب.

[1]- جوانب من حياة الشيخ سيد محمد التاكنيتي، ص 57.

2- الشيخ القبلي: سياسية الزعيم، وزعيم السياسة

يلاحظُ المُتَتَبِّعُ هنا **ترابطا** عضْويا وثيقا بين **مختلف صفات المشيخة** في شخصية **الشيخ أحمد**، روحيا، وسياسيا، وحتى **القطبية الشعرية** اللاحقة، فهي **كلها أبعاد مُنْدَمِجَة** في ذات **"شيخ المشايخ"** هذا كما سمَّاه أخوه الأكبر وشيخُه: **سيدي ولد آدب**، فالزعامة السياسية هنا وليدة الزعامة الروحية هناك، حيث اقتضت هذه المركزية الروحية، شبه الشاملة، المتشعبة الامتدادات في جل الفضاءات الكنتية وغير الكنتية، قياداتها وجماعاتها، أن يتفرد الشيخ **أحمد بن آدب** بكتاب/ **"كنَّاش"**/ سجل إداري، في دائرة **المجرية بتكانت**، خاص **بأهل آدب**، لا يتبعون فيه لأية قيادة كنتية، ولا حتى قيادتيْ فخذيْهم: أولاد بوسيف خُضْرِهم، وبِيضِهم، أحرى الأفخاذ الكنتية الأخرى، التي قلما يوجد لها زعيم إلا وهو مريد للشيخ أحمد بن آدب...

وقد تأسست هذه **المشيخية "الآدبِّيَّة"** السياسية المستقلة، بعدما **نزح الشيخ أحمد** من منطقة آفطوط في **البراكنة**، إثر خلافات بيْنِيَّة داخل **أولاد بوسيف** هناك، اشتد حوله تقاطبُها، ولم يستطع احتواءها، فهاجر إلى **تگانت** بحوالي خمسين خيمة، وحتى أهل آدب الذين بقوا في آفطوط بقيادة تلميذه وابن أخيه: **حم بن سيدي ولد آدب**، كانوا تابعين **لسجل مشيخة الشيخ أحمد** في دائرة المجرية، لا للسجلات الإدارية البوسيفية في البراكنة.

وقد كانت هذه **"الاستقلالية والمركزية"** بداية لمنعطف حاسم، في **سياسة الشيخ أحمد بن آدب**، لنفسه أولا، حيث مثلت لديه **مرحلة الاستقرار** والتحضر، والخروج من طور **الترحال المستمر**، داخل **مجاله الجغرافي** الاجتماعي المترامي الأطراف، ما بين **البراكنة** موطن ذويه من **أولاد بوسيف** بيضا وخضرا، بمن فيهم أبناء أخيه **سيدي بن آدب**، و**الحوض الغربي** مستقر أخيه **محمد لحوار**، وأهله ومحبيه من أولاد الناصر، و**الحوض الشرقي**، بكل من يستوطنه من أهاليه ومحبيه، **وتگانت/ أم القصور**، حيث **أمهات قرى** قبيلة **كنته**، وموطن **عاصميْتها**

التاريخيتيْن: **"قصر البركة"**، و**"الرشيد"**... فقد كان **الشيخ أحمد** منذ صباه، يجد مندوحة في سعة فضاء الله المفتوح هذا، وكلما انزعج الفتى المدلل الذي كان يسكنه هنا، ارتحل إلى هناك، حيث لم يتربّ على غير الإجلال والتوقير، حتى من طرف أخويه الأكبرين، فعندما كان مرة مع أخيه **محمد لحوار** في الحوض الغربي، وهم بالإقلاع في لحظة مغاضبة، كان الأخ الأكبر يبالغ في ترضيته واستبقائه، ثم يعرض عليه- إن أصر على الارتحال- أن يستصحبهم معه أينما توجه، واصفا إياه بكل صفات الزعامة والقيادة، فهو **"ثِمَال اليتامى"**، و**"مُشْكِي الشُّكاة"**، و"هو **الخليفة**" منّا جميعا، حيث يقول له:

سلام مـرتهن، بالشـجو، والأسَـفِ ... حِلْـفِ الأسـى، والبُكـا، والأدْمـع
مُرْضٍ بِـمَا يُشْـتَهَى مِنْـهُ، ومُنْـكَسِرٍ ... الـــــــــــــــــذُّرُفِ
إلى ثِمال الورَي، مُشْكِي الشُّكَاة، ومَنْ ... وبالـذي لمْ يكـنْ، وَكـانَ، مُعْتَـرِفِ
وبَعْـدُ فلْـتَعْلَمَنْ أَنِّي- وَخالِقِنَـا- ... هُوَ الخَلِيفَـةُ مِنَّـا، عَـزَّ مِـنْ خَلَـف!
ولا أقـــصِّرُ فِي أَمْـرٍ، تشـيرُ بـه ... عمَّا يَسُـرُّكَ - مِنِّي- غَيْرُ مُنْحَـرِفِ
ولمْ أفَضِّلْ - بفضْلِ الله- كوْنَكَ عـن ... وَغَـيْرَ مَـا تَرْتَضِيـهِ لمْ أَقُلْـهُ بـفِي
أمَّا الفِـرَاقُ، فـلا تُـنْهِضْ رَواحِلَـه ... درْس المدارس، في مَلْهَـاك بـالعزف
فارْحَلْ، بنَا، كُلّنَا، إنْ كنْـتَ مُـرْتَحِلا ... مَا اعْتِيدَ- قطُّ- فِراقُ الـلّام للْألـفِ
إنَّ المقامَ- بـلا جـدْواكَ- يـا أمَـلِي- ... أو فَلَـتُقِمْ مَعَنَـا فِي خـيْرِ مُؤْتَلَـفِ

ورغم كل ذلك، ارتحل **الشيخ أحمد** - فيما بعد- من **الحوض الغربي**، إلى **البراكنة**، حيث مضارب **أولاد بوسيف**، وعاش هناك - ما شاء الله- مكرما مبجلا، مسموع الكلمة، مُرَاعى الخاطر، وظلَّ بينهم حريصا على مصالحهم، واجتماع شملهم، محاولا الإصلاح ما استطاع، وعندما عجز عن التوفيق- بطريقة ودية- بين بعض المتقاطبين سياسيا من أهاليه، في ذلك الفضاء، قرر الهجرة

[1]- **الذُّرُفِ**: المنسكبة والسائلة.

– أخيرا– إلى **تگانت**، منتجع راحته، وعزه، ومحبته، وأحد ثغور الدفاع عن حوزة المجتمع، حيث كان يستبسل هناك – في شبابه– مع أخوته، وقومه، كلما فرضت حروب البلاد السائبة نفسها.

وهنا بدأ **التأسيس** الحقيقي لكيان **زعامته الآدبية**، فثبَّتَ بناء **أسرته الخاصة** بشكل أكثر استقرارا واستمرارا، وبنى **داره الكبيرة** في حاضرة **قصر البركة**، وأنشأ "كناش" مشيخته القبلية المتسقل **بدائرة المجرية في تكانت**، باسم **كتاب أهل آدب**، مشكلا إياه على نواته الصلبة المتمثلة في خمسين أسرة رافقته إلى تكانت، وكانت هذه النواة تمثل **منزعه الإنساني** الروحاني **في سياسته**، حيث كان أغلبها من الفقراء، غير القادرين على دفع الضرائب/ **"العُشْر"**، يلتمسون الحماية من ذلك **بوجاهة الشيخ أحمد** إعفاء من الدفع، أو كرمه بالدفع نيابة عنهم، وعندما رأت بعض الأسر ذات المواشي ممن رافقه، و**"كاتَبَه"** أن موطنهم الأصلي في **"آفطوط" بالبراكنة**، أليق بهم، من حيث الرعي والانتجاع، أشار عليهم بالرجوع إلى هناك، و**مكاتبة** بعضهم **لأهل حمادي** شيوخ أولاد بوسيف البيض، **ومكاتبة** بعضهم **لأهل أحمد عبد** شيوخ أولاد بوسيف الخضر، وفق معايير مناسبة يراها هو، بينما احتفظ بغالبية شعبيته الفقراء.

ثم **استقل**– بعد ذلك– **بقريته** الخاصة، في **"وادي النبط"**، **حضرة** الشيخ، و**عاصمة** أهل آدب... الآنفة الذكر التي نالوا ملكيتها في الربع الأول من القرن العشرين.

وإذا كنا تناولنا **المشيخة** الروحية **للشيخ أحمد** من منظور ثنائية، **تربية الشيخ**، و**شيخ التربية**، فإننا سنتناول **مشيخته** السياسية، من منظور **سياسة الزعيم**، وزعيم السياسة، حيث تقتضي فلسفة **"المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب"**[1] – كما رأينا في كتاب مستقل– أن كل تربية، وسياسة، ومجاهدة، وتعليم،

[1]– أدي ولد آدب: **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020م.

وتهذيب، ينبغي أن يتجه إلى الداخل، قبل أن يوجَّه إلى الخارج، ويجب أن يبدأ بالذات، ليكتسب فاعليته المنشودة في روح الآخر..

وهكذا لم نجد **للشيخ أحمد** كثيرا من **التوجيهات والإرشادات السياسية** لشبكة **مريديه** الكثيرين الملتبسي الأبعاد الروحية بالأبعاد السياسية، فهما – في مرجعيات هذه المدرسة– وجهان لعملة واحدة، وبناء على هذا كان **خطاب الشيخ أحمد** – في القليل المحفوظ منه– إلى هؤلاء وأولئك ملتبس **المنطق الديني بالمنطق الدنيوي**، فسياستهما – في النهاية– موحَّدَة المُرْتَكَز.

فالشيخ أحمد، بعدما نفثه **والده آدب** في روعه، من هدهدات شعرية جمعت له– وهو ما يزال في المهد صبيا– بين صفات **الشيخ، والنبراس، والمعلم، والعالم**، وحتى **العَلَّامَة**، وحكمت له بأنه سيكون **مهوى أفئدة الناس**، ومحج وفود **ذوي الحاجات، وملتمس التخويل** المادي، **والتقديس** الروحي، وبأن مدد عطائه يفوق مدَّ البحار، وانهمار الأمطار، وأن جُودَ يمينه، يكسر صخور البخلاء، وأن بحور العلم تنفجر من راحتيه.... وأنه – باختصار الاختصار– **الفخر الكنتي** الكامل الماثل يمشي بين الناس على قدميه، وأنه **فاق الحاضر والغابر** من قومه...

وبعد **قصيدة "التربية"** التي **جعلها** له أخوه وشيخه الثاني– **سيدي بن آدب– "جنة المريد، دون المريد"**[1]، ونهج له فيها **"إرشاد السالك لأقوم المسالك"**[2]، ووضع له فيها قواعد السلوك، وأُسُسَ الوُصول إلى أسْمى المقاصد، عبر أجمل المراصد...

بعد هذا وذاك ها هو **يرمي بنفسه** – ولو من بعيد– **بين يدي شيخه** الآخر: **الشيخ باب** بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي الأنتشائي، **حفيد شيخ آدب** والد الشيخ أحمد، حيث يراسله كاتبا: «ليكنْ في كريم عِلْمِكَ أيها الأكْرمُ الأرْحم،...، أني **طرحتُ نفْسي بين يديْكَ**، وألقيْت مَقاليدَ أمُوري إليْك...

---

[1]– عنوان كتاب ألفه الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار، لتلميذه: الشيخ سيدي بن المختار الهيبة.

[2]– عنوان كتاب ألفه الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار، لتلميذه: محمد ويقي بن مُحمد بن سيد الأمين البوسيفي.

ومُرَادِي لَفْتَةٌ صَمَدِيَّة، ممَّنْ قُدِّسَ في أزَل الأزليَّة، برحِمة الرحْمانية... **تنيرُ صدْرِي، وتُنِيفُ قدْري، وتبلِّغني** من كلِّ خيْر، ما دريْتُ وما لا أدْري».

«ومن أجْل ذلك أطلُب منكمْ **الجمْع بيْن الضَّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَنَتَيْن**، والحُصولَ على كِلْتا **السعادَتَيْن**، والفوْزَ بكلا **الفَخْريْن والعِزَّتَيْن**، ما لا يُوصلُ إليه، ولا يُحْصل عليه، إلا بمحْض فضْلِ الله وعِنايَته، وبركة التعلق بخاصَّتِه من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه»[1].

فهذا كله استثمار في سياسة الذات.

أما توجيهاته المتوقعة الصدور منه **إلى الآخرين من مريديه**، فهي أيضا لا تكاد تتجاوز الدائرة الضيقة التي هي أقرب إليه من حبل الوريد، فالتوجيه بالشعر عنده لا يتعدى نصا واحدا صغيرا – حسبما وجدنا– يتجه إلى آخر، أقرب إلى الذات منه للغير، هو ابنه وخليفته، **محمد بن آدب**، وارث سره، حيث يرشحه هنا ويكرسه شَيْخًا، و"شِيخًا"[2]، بخطاب مزدوج بين التوجيه السياسي، والتوجيه الصوفي، والتوجيه الأبوي عموما:

نظَـرِي إليْـك – برحْمَـةٍ– مُتتـالي ... وبشـفْقةٍ، تـرْى، مـع الإجْـلال
ومَصُـونُ سِرِّي قـد أبَحْتُـكَ كنْـزَه ... حتَّـى غـدوْتَ بكـلِّ حـلْيٍ حـالِي
أرجو الإلهَ ثبَـاتَ أمْـركَ فى الـذى ... يُرْضِـيه– جَـلَّ – وأنْ يُـزَيِّنَ حـالي
فلتحذرنْ من غيِّ نفْسكِ، واستعـذْ ... من أنْ تُعاض –من الهُدى– بضـلالِ
فالنفْسُ شِيمتُها الخديعةُ. "يوسفٌ" ... قد قال ذلـك، فى الكتـابِ العـالي
قـولُ النبـيِّ محمـدٍ فى شأنِهـا ... متكـاثرٌ، مُتتـابعٌ، مُتَتَـال
فلتحـذرنْ أبْنـاءَ جِنْسِـكَ ولـتكنْ ... مُتَحَفِّظًـا مـنْ قِـيلِهِم، والقـالِ

[1]– هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكتبه من كتاب: **الأخبار** "المدون"، ص 134.

[2]– تفرق الثقافة الحسانية الدارجة، بين الشيخ بفتح الشين والشيخ بكسر الشين، بتخصيص الأول بالدين، وتخصيص الثاني بالدنيا.

بالبشْر عاملْ كلَّهَـمْ مـن ذِي الصـدا قــة مــنهم، وكــذا العَــدُوّ القــالي[1]

ثم يرسل توجيها آخر إلى أحد أبناء عمومته وإخوانه المقربين، هو **سيد الأمين بن الشيخ بن أن الأزرقي الكنتي**، يقدم له استشارة ومقترحا لطيفا حصيفا، بإصلاح ذات البين عبر تدبير خلاف أخوي خاص، في شأن اقتصادي حيوي بينه وبين أخويه، حيث كتب بعد براعة استهلال واضحة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحقَّ أحقَّ أنْ يُتَّبَع، وأمَرَ بَزجْرِ منَ زاغَ عن طريق الحقِّ وابْتَدَع، **والصلاة** والسلام على من سنَّ الهُدى وشَرَع.

وبعد؛

فسَلامٌ أوْفَر، أشْهى من مِسْكٍ أذْفَر، **من راسمِ الحُروفِ**، إلى **أخي المَعْرُوف**، الذي **بكل خيْرٍ موْصوف**؛ أعْنِي **سِيدَ الأمِين** بن الشيْخ **وأخَوَيْهِ**، باركَ اللهُ لكلِّ مِنْهُما **فيما لديْه**.

مُوجِبُه منِّى إليكم، أنِّى **مُشِيرٌ** إليْكمْ **بترْكِ أحْرَائِكِمْ** علَى حَالَتِهَا الأولى، وقَدِّمُوا في ذلك أرْضَ "الخَاثرَ". **ولله دَرُّ التقْوى** ما تركَ لذِي غيْظ شِفاءً، **والخيْرُ وراءَ مَا تهْوَى النُّفُوس**، وقانَا الله- وإيَاكمْ- كلَّ شرٍّ وبُوس، ويكونُ هذا بالعَجَل، وقانَا الله- وإياكمْ- كلَّ خَجَلٍ ووَجَل، والحاذقُ يكفِيه التنْبِيه، وهذا فِيهِ ما فِيه».

وقد وقعها بصفة المحبة فقط: (**محبكم**: أحْمد بن سيِّده عبد القادر).

وهناك "**استدراك أخير**"، كما سمَّاه كان غاية في الأهمية، حيث حرص على معرفة الرد كيفما كان، للاطمئنان على النتيجة الإصلاحية لذات البين:

---

[1]- **تتْرى**: جاءوا تترى أي متواترين متتابعين واحدا بعد واحد وبينهم فترة ومهلة. **أبَحْتُكَ**: أباح الأمر أطلقه وأجاز الإتيان به. **القالي**: المبغض والكاره والتارك.

«وإذا **أتاكم الكتابُ** فليكتبْ لِي سيد الأمين كتابا فيه أنَّه قطعَ نَظَرَهُ من ذلك العَمَلِ، وأنَّه أثْبَتَ كلَّ أحدٍ فِي حَرْثِهِ القَدِيمِ، أو بِعَدَمِ قبولِ ذلك، **ويكونُ رَدُّ الجَواب بالعَجَل**.

وكتبه كاتبُ أعْلاه، وما بِمُحَوَّلِه».

وفي السياق نفسه يكاتب أيضا أحد مُريديه المقرَّبين؛ هو ابن عمه: **سيد الأمين** الملقب **"خُ"** بن سيد أحمد بن سيد الأمين، **شيخ أبناء أبي سيف** الكنتيين في الحوض الشرقي، قائلا- بعد نصيحته لنفسه وله بالتقوى، والتخلص من شح النفس، وعدم التعلق بالدنيا، وما فيها مهما زها وكثر:

«واعلمْ أنَّ هذا الزّمان الصَّعْبَ الذي صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ صبًّا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي لا يَنْفَعُ فيه إلا الإقْبال على الله تعالى، ودوام اللُّجُوء إليْه، والدُّعاء، والانْكسار، والتذلُّل، والخُضوع، والصَّدَقَةِ في كلِّ عارضٍ يعْرِضُ من كسْبٍ طيِّبٍ، ومَهْمَا غفلَ الشَّخْصُ عن هذيْن المَذْكورَيْن آنفا فقد تُوُدِّعَ منْه.

وانْ أتاكمْ نعْيِي فلا تنْسَوْنِي من الدُّعاء، والصدَقة، فإنِّي غريبٌ الآنَ في هذا الزمَنِ وأهْلِه، ولا آخذ منْهم خَبَرا، ولا أجِيبُ أحَدا منْهمْ عنْ مَسْأَلَة.

ولا بُدَّ من مَجْمُوعٍ فيه ما يُحْتاجُ إليْه أوْ بعْضُه أؤلفُه لكم».

فهنا يلاحظ أن الشيخ أحمد بدأ يضيق ذرعا بزمنه، ويحاول اعتزال أهله، وما يشغلهم عن الله، لكنه يدرك في الوقت نفسه «أنَّ هذا الزّمان الصَّعْبَ الذي صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ صبًّا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي»- كما وصَفَه- يضعُ على عاتق **الشيخ** مسؤولية مضاعفة في شأن التوجيه الديني والدنيوي معا، وهذا ما جعله يعِد بتأليف كتاب ما يساعد مُريديه في سياسة النفس، وسياسة الناس.

وقد سجل **الشيخ أحمد بن آدب** في نهاية الرسالة لمسات جميلة في رقي السياسة، والإيحاء بالتزام روح الجماعة، والسعي للوفاق بدل الشقاق، والتحام الزعيم بنبض مختلف شركائه، حيث كتب:

«ويَعُودُ السلامُ السليمُ إلى بابَ أحمدو بن بوج، وأحْمَد بن أخْيارهم، وجميع الإخوان معًا، **وعليكمْ بإصْلاح ذاتِ البَيْنِ، والتعاوُنُ على البِرِّ والتقْوى**.

واعْلِ بن السالك أتانا، وإنِّي **مُوصِيك** عليْه، **وأوْصيتُه** بطاعَتِك، فأشفقْ عليْه، والسلام».

وكما **رَصَدَ مادحُوه الأوْجَهَ السابقة** من الشعراء من مشْيخته، لم تَفُتْهمُ **مَشْيخته القبَلية، ومركزيته الاجتماعية**، حيث يقول هذا الشاعر:

مَتَى تَلْمُمْ بِهِ لِطِلابِ حاجٍ ... تَنَلْ ما شِئْتَ مِنْ كَرَمٍ وجودِ
لَئِنْ سادَ القبائلَ فِي صِباهُ ... ببحْرٍ، مِنْ مَوَاهِبِهِ، فَرِيدِ
لقد أمْسَى، وأصْبَحُ منْهُ شَهْمٌ ... تَهُشُّ لَمَدْحِهِ غُرَرُ القَصِيدِ
وحاجات قضيتَ، بَلَا امْتنانٍ ... عَلى رغْمِ المُكاشِحِ، والحَسُودِ
ألا يا شيْخُ أحْمَدَ، هاك، خُذْها ... لآلِئَ نظْمِ قَافِيَةٍ شَرُودِ[1]

وإلى ذلك أشار القاضي الجليل: **عبد الرحمن بن بلال** الجملي، في رثائه:

فلو أنَّ المَنِيةَ بالمعالي ... عن الأشْراف تُدفَعُ، والرَّزَايا
لكانَ الشيْخُ أحْمَد ذا حياةٍ ... مُخَلَّدَةٍ، إلى بعْثِ البَرَايا
إمَامٌ، كانَ للحاجاتِ مَأْوَى ... إليهِ الجُرْدُ تُعْمَلُ والمَطَايَا
فكمْ مِنْ مُهْتَدٍ أهْدَى سريعًا ... وكمْ من مُعْتَدٍ أوْلَى بَلايا!
وكمْ في الغيْب أخْبَرَ في صِبَاهُ ... وآثَرَ بالحَوائجِ والغَوَايا!

[1]- **تَهُشُّ**: هش للمعروف انشرح صدره فرحا وسرورا به. **غُرَر**: الليالي الثلاث الأولى من كل شهر قمري. **المُكاشح**: المضمر العداوة والمخفيها.

وكمْ - مـن غـيْرِ قُـلٍّ- بـاتَ يـدْعُو خَمِـيصَ الـبَطْنِ، أضْـلُعُه حَنَايَـا!
تَخـافُ العُـرْبُ منْـهُ، مـعَ النّصـارَى وتَبْعَـثُ مـن مَخافَتِـهِ الهَـدَايا
تَـزَوَّدَ مِـنْ دُنَـاهُ بِـزادِ تقْـوى ومَـا عَمِـلَ الجَـرَائمَ والخَطايـا[1]

[1]- **خَمِيص البطن**: فارغه.

سابعـــا

القطبية الشعرية

سبق أن ألَمَحْنا إلى **الترابط العضْوي بين** أضلاع مُثَلَّثِ **المَشْيخات** الروحية، والسياسية والشعرية **المندمجة الأبعاد** في شخصية **الشيخ أحمد بن آدب**، الذي وصفناه في العنوان، بـ **"شيخ المشايخ"**، اقتباسا من أخيه الأكبر **سيدي ولد آدب** جدنا، الذي حلَّاه بهذا اللقب في بيت سابق، وقد أضفنا **القطبية الشعرية**، تكملة للعنوان، باعتبارها إحْدى تلك المشيخات، وذات تفاعلٍ خلَّاقٍ مع أختيْها **الصوفية، والسياسة**.

1- وراثتها

قبل البرهنة المنتظرة على أن **الشيخ أحمد قطب الشعراء**، في فضاء "كنته الغربيين"، نريد أنْ نُبَرْهِنَ فقط على أنَّ **الشيخ أحمد بن آدب** - موضوع بحثنا الراهن- ليس بِدْعًا، في علاقته بهذا الموضوع، فهو الوريث الشرعي، لـ **"أسرة أهل آدب سلالة الشعر، وبيت القصيد"**[1]، وهؤلاء خلاصة لتفاعلات جدلية **"النسب والأدب"**، عبر القرون، والعروق، والأجيال، فهو - كما قلنا عن أخيه **سيدي بن آدب**[2]- أبو الشعراء، وأخو الأدباء الشعراء، وابن الشعراء الأدباء،

[1]- أدي ولد آدب: **أسرة أهل آدب سلالة الشعر، وبيت القصيد**، مؤسسة آفاق للدرسات والنشر والاتصال، مراكش، ط 1، 2020 م.

[2]- أدي ولد آدب: **سيدي بن آدب: رمز الفتى الكنتي، وفارس المدفع والقلم**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال- ط 1، 2020 م.

وابن عم الشعراء الأدباء، المعرق في سلالة الشاعرية البوسيفة الخضراء، والبيضاء، وفي جدلية النسب والأدب الكنتية عموما، التي كانت نشأتها القبَلِيَّة توأما أزليا لنشأة الشعر الفصيح[1] والحساني[2] في هذه البلاد، والتي وصل مجمل المدوَّن منْ شعْرِهَا حتى الآن، إلى 7000 بيت لمئة شاعر كنتي، بين دفتي ديوان الصحراء الكبرى: المدرسة الكنتية، حسب مجهود فردي عظيم قام به مؤلفه[3].

فمثلا، **يشمل الشعر** والأدب: **سيدي ولد آدب**، و**أخوته الثلاثة**: محمد لحوار، وسيد مْحمد، والشيخ أحمد، و**أبوه** عبد القادر **(آدب) شاعر** وناثر بارع، و**أمه**: السعيدة بنت ألمين الجيد البوسيفية **شاعرة** عالمة، **وأخوه من أمه** السعيدة: محمد بن أحمد انبسيف، أديب شاعر، **وأخته منها**: أينات بنت أحمد انبسيف **شاعرة** وعالمة، وأبوهما، زوج السعيدة – قبل آدب– **شاعر** عالم أديب، **وعَمَّا سِيديَ بن آدب**: محمد ويقي، والشيخ، **شاعران** عالمان مربيان أديبان، **وأبوهم جميعا سيد الأمين** بن أمحمد بن الطالب اعمر بن خيري، **قاضي الجماعة، وفارسها، ويقول الشعر** أيضا، **وأخو سيد الأمين** المختار بن أمحمد **شاعر**، **وابنا أخيه هذا**: محمد، وأحمد ابني المختار، **شاعران** أيضا، **وابن عمهما احمد بوّ** بن محمد بن أمحمد بن الطلب اعمر بن خيري **شاعر** كذلك، **وأولاد بوسيف الخضر** بطن الجميع، **يروى** أن **أربعين فارسا** منهم – ذات حملة عسكرية– ارتجلوا **قصيدة جماعية** من أربعين بيتا، **وعلى ضوء تتبع** هذه الجينات الأدبية يكون المستغرب حقا أن لا يكون الشيخ أحمد قطب الشعراء.

---

[1]– الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، مبحث النشأة والأصول، ولد ابن احميدة، عبد الله، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2008 م، ص 166.

[2]– إبراهيم ولد مولود ولد داداه: **مختارات شعرية من غنا البيظان**، ص 02.

[3]– الأستاذ يحي بن سيد أحمد: **ديوان الصحراء الكبرى:** المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، ط دار المعرفة، الجزائر، 2009 م.

2- مقوماتها الفنية

إن هذه **"القطبية الشعرية"**، التي وصفت بها **الشيخ أحمد بن آدب** في العنوان، **ليست** مجرد عطف حزافي على **مشيختيه** الروحية والسياسية، بل هي **مشيخة شعرية**، متعالقة - حقا- مع سابقيْتها، ومُتفاعَلة معهما، ولها **مُسَوغاتها، الوراثية، والكمية والمضمونية والشكلية**؛ حيث كان **الشيخ أحمد** صاحب **أكبر ديوان** ضمن هذه السلالة **الكنتية** البوسيفية الشاعرة، وضمن بيت قصيدها: **(أهل آدب)**، فقد احتفظت له الذاكرة بنصوص كثيرة، **ناهزت** مختاراتنا منها **أربعين** نصا.

وقد تقاسمت **مضمونها** أغراض عديدة، يمكن اختزالها في **جدلية: الفتوة والتصوف**، التي تختزل -هي الأخرى- ثنائية: **"الشيخين" الروحي**، و**الاجتماعي**، وبما أن **شيخ الشعر والشعراء** له **سلطة** في مجاله، تشبه سطلة **"الشيخين"** الآخرين في مجالهما، فقد كان **الشيخ أحمد** متحكما في **توزيع مضامين شعره** - بعدالة- بين **الفتوة والتصوف**، بين **الدين والدنيا**، بين **النفس والروح** بتقابلهما الصوفي، فتجده مثلا **يبدأ** القصيدة **غزلية**، ثم **يتخلص** بها إلى **المديح النبوي**، أو يختمها بإعلان التوبة والإنابة إلى الله، وتأنيب الضمير على التقصير، تجسيدا لتفاعلات النفسين: **الأمَّارة** و**اللوَّامة**، في **مكابدات** الإنسان الشاعر **الفتى** النزاع إلى الجمال من جهة، **والمتصوف** - أيضا- المُرَوِّض لنفسه وهواه، الساعي للارتقاء بالروح عن طينية الجسد المُخْلِدَة به إلى الأرض.

فمن **أمثلة تخلصاته** التي تعتبر - بلغة الطيران- هبوطا ناجحا في مدارج الروح الديني، بعد إقلاع بعيد التحليق في جو الحب والغزل، قوله بعد طول تَدَلُّهٍ:

وما شوْقِي لذاتِ الخالِ: ليْلَى ولا لُبْنَى ومَيّة الاثْنَتَانِ
ولا دعْدا هويتُ، ولا سُعادا ولا مَيْلَاء، ترْفلُ، في ازْدِيانِ

ولَا شَـــوْقِي لكاظِمـــةٍ وسَـــلْعٍ ورامَـــة والعُـــذيْب الأبْلقـــان[1]
ولا بـــالبيضِ كـــانَ لِيَّ ادِّكـــارٌ ولا أنـــا بالمَغـــاني الزُّهْـــر غـــان
ولا أبْكـــي عـــلى طلـــل، ومَغْنـــى ومـــالي بـــالطلولِ، وبالمَغـــاني؟
ولا حُـــبُّ الرُّبُـــوع وســـاكنِيها ولكـــنْ حُـــبَّ أحْمَـــدَ قـــدْ سَـــبَانِي[2]

ومن هذا القبيل قوله متغزلا:

وظبْيٍ، كحِيلِ الطرْفِ، والحُسْنُ عَمَّهُ أبـــانَ وِصـــالي مـــذ دَعـــانِيَّ: عَمَّـــهُ
فـــزادَ غرامـــي فيـــه أنْ زادَ في الجفـــا وقلبِي -بطول الهَجْر- ضاعفَ غمَّه
وَخـــبَّرَنِي: ألَّا ســـبيلَ إلى الِّلقـــا فَلـــمَّا وعَـــى سَـــمْعِي المَقـــالَ أصـــمَّهُ
فبـــتُّ بشـــوْقٍ، لـــوْ يُصَـــبُّ قَلِيلُـــهُ علَى الصخَر الصيْخُودِ، صدَّعَ صُـــمَّهُ

ثم تخلص:

وإنْ أسْعدتْ سُعْدى، وسُعْداكَ قدْ قَلَتْ فبَحْر النَّدَى، نُور الهُدَى، البَدْر، أُمَّهُ[3]

وكذلك قوله:

عبْدٌ عَلَا الشـيْبُ فَوْدَيْـهِ ومـا كتمَـهْ لـــو كـــانَ يُمْكِنُـــهُ كتْمانُـــهُ كتَمَـــهْ
بـــلْ لا بَقَـــاءَ لليْـــلٍ كـــانَ حَادِيَـــه صـــبْحٌ مُنـــيرٌ عليْـــهِ نـــاشرٌ عَلَمَـــهْ
لَّـــا رأى البِـــيضُ بِيضًـــا في مَفارِقِـــهِ أبَـــيْنَ تَكْلِيمَـــهُ والسُّـــقْمُ قـــدْ كَلَمَـــهْ
وكُنَّ، إنْ زارَ، أو إنْ رِيءَ، مِـنْ بُعُـدٍ يُعْوِلْنَ، مِنْ شَغَفٍ، يُعْلِنَّ: وَا سَـقَمَهْ
البِيضُ يُنْكِرْنَ مَا قد كان مِنْكَ، فخُضْ بَحْرَ السُّـلُوِّ، وَذَرْ مـا كُنْـتَ مُغْتَنِمَـهْ
وابْكِ الشبابَ، ووصْلُ البِيضِ مَأْثَمُهُ أقِمْهُ - وَيْكَ- وَخَلِّ العَيْنَ مُنْسَجِمَهْ

---

[1]- على لغة "إن هذان لساحران".

[2]- **ازْدِيان**: ازدان: تجمل وتحسن وتزين.

[3]- **عَمَّهُ**: عم: شمله. **الجفا**: الغلظ والقسوة والبعد. **الصيْخُودِ**: صخر لا تعمل فيه المعاول.

بل بالبكاءِ أحَقُّ الـذنْب، فابْـكِ لـهُ ... وعَدِّ عمَّا مـضَى، لا ترْتكِـبْ زِيَمَـهْ[1]
نُـحْ نـوْحَ أمٍّ وَحِيـدٍ إذْ تصـابُ بـه ... ودَمْعكَ، الدَّهْرَ، منه اسْتَمْطِرَنْ دِيَمَهْ

وختام **تَخَلُّصاتِه الجميلة من الغزلِ النسوي، إلى المديح النبوي**، قوله بعد حوار متقن فنيا:

فقالتْ: أذُقْتَ البَرْدَ، مِنْ بَعْدِ بَيْننـا؟ ... فقلتُ: حَمَـى عيْنـي تشـوُّقِكِ الـبَرْدا
فقالتْ: على مَا فيكَ منْ لاعِجِ الهوَى ... أراكَ تَشَكَّى البَرْدَ؟ قلـتُ لهـا الـبَرْدا
فقالتْ: فبُرْدِي مِنْهُ، يا حِـبُّ، واقِيـا ... أأنْتَ تُحِبُّ البُرْدَ؟ قلـتُ لهـا: الـبُرْدا
وقلتُ: فهـاتِي الـبُرْدَ، قالـتْ مُجيبَـةً: ... أتطْمعُ رِفْدًا؟ نَحْنُ لا نَبْـذُلُ الرِّفْـدَا
مَواعيـدُنا زُورٌ، وكـمْ غَـرَّ قوْلُنـا ... أخَـا الرُّشْـدِ، حتَّـى صـارَ لا يَعْـرِفُ
وكمْ عاشقٍ يَبْغِي الوِصالَ قضى أسًى ... الرُّشْـــــــــــــــــــــــــــدا
فقلـتُ لهـا مـنْ بعْـدِ ضَـنٍّ بنيْلِهـا: ... إذا ظـنَّ قُرْبـا يَسْـتَحِيلُ لـهُ بُعْـدا
مـن أكْـرَمِ خلْـقِ اللهِ، أطْوَلِـهِ يَـدا ... فليْتِـكِ لُقِّنْـتَ السَّـمَاحَة، والمَجْـدا

أما **شكل تجربته الشعرية** فقد اتسم بطوابع **المدرسة البديعة**، التي تتطلب تقنيات محسناتها اللفظية والمعنوية امتلاك ثرْوة لغوية، تتيح التلاعب بتصاديات الطباقات، والمقابلات، وردّ العجْز على الصدر، والجناسات، وكل ما هنالك من "التزام ما لا يلزم"، فهناك **نتف شعرية**، يخيل للقارئ أحيانا أنها إنما **كتبت** من أجل **الجناس** في حد ذاته، مثل:

هـل مِـنَ كَمِـيٍّ "يُكَمِّـي" مُـدْنفًا ... لاقَـى الهُمُـومَ بأشْـفَاعٍ، وأوْتَـارِ؟
"تَـــــــــــــــــارِي ... لا مِنْ قـريضٍ، وَلَا تَحْريـكِ أوْتَـارِ[3]

---

[1]- **كَلَمَه**: جرحه. **أبَيْنَ**: رفضن. **يُعْوِلْنَ**: يصرخن. **السُّلُوّ**: النسيان.
[2]- **يَسْتَحِيل**: يتحوَّلُ.
[3]- **كَمِيٌّ**: لابس السلاح.

ومثل:

إنَّ الـــــــذينَ ترَحَّلُـــــــوا نزلـــــوا بعـــــيْنٍ ســـــاهِرَهْ
أنْـــــــزَلْتُهمْ في مُقْلَتِـــــــي فـــــإذا هُـــــمُ بِالسَّـــــاهِرَهْ

ومثل:

قـل- للـذي منـع العيـونَ منامَهـا والقلـبُ ذو شَـغَفٍ بـه: مـا أنْصَـفا
واللهِ، إنِّي إنْ أراهُ، أو آتِـــــــــهِ لَكَمِثْـلِ ذِي ظَمَـأٍ، رأى مـاءً، صَـفَا

ومثل:

عَبْـدٌ سَـفِيهٌ، كفَـاهُ اليـوْمَ أنْ بَاعَـا بـاقٍ بفـانٍ، يَظُـنُّ الـرِبْحَ، فانْبَاعَـا
أطاعَ نفْسًا لجُوجًا في الهـوى جَمَحَـتْ مَنْ يُعْطِهَا الشِّـبْرَ تَأْخُـذْ عنْـوَةً بَاعَـا
إبْلِيسُ، دُنْيَا، هَوًى، نفْسٌ له خَبُثَـتْ قَسَّـمْنَهُ بيْـنَهُنَّ اليَـوْمَ أرْبَاعَـا[1]

ولعل هذه القطعة الآتية هي أكبر نص بناه الشيخ أحمد بالكامل على تجنيس القوافي، ملتزما ما لا يلزم في وحدة صوتية كبيرة، تفيض حروفها الملتزمة عن الحد العروضي للقافية، هي (آديني)، المرتبطة بجذر الدين العميق في نفسه، والتي تكررت في القوافي الخمس:

شوْقِي لَمَـنْ شـوْقُه قـد كـاد يُرْدِينِـي دِينِي وَهُوَّ عـلَى طُـولِ المَـدَى دِينِـي
إنْ قُمْـتُ قَـامَ هَـوَاهُ فِي مُسـاعَدَتِي أوْ نِمْـتُ أيْقَظَنِـي جهْـرًا يُنَـادِينِي
قلبي ميـادينُ فِكْـرِي فيـه ضَـلَّ بهـا واهًـا لضـلَّةِ قلْبـي في الميـادينِ
يا ليْت شـعْري مَـنْ بـالهجْر عـذَّبَني دَأْبًـا يُرَاوِحُنِـي مِنْـه يُغـادِيني
إنْ غِبْتُ عنْ ذِكْرِهِ.. هلْ هُوَ يَذْكُرُنِي أوْ متُّ- فِي حُبِّه- هلْ هُو وَادِيني؟[2]

---

[1]- **جَمَحَتْ**: (الفرس) رفضت السير بالرغم من إلحاح صاحبها.

[2]- **دَأْبًا**: دواما. **يُرَاوِحُنِي**: يأتي إلي وقت الرواح. **يُغاديني**: يأتي إلي وقت الغداة.

لكن **هناك جناسات أخرى**، يتلاعب بها **الشيخ أحمد**، في تدرج عمودي من الأعلى إلى الأسفل.. غير أنه يجعل تسلسلها في القصيدة الموحدة القافية، **مَثْنى مَثْنى**، بحيث تشترك كل قافيتي بيتين من النص في جناس مستقل يوحد بينهما، فمثلا قصيدة:

سَـوْقُ القـريضِ، إلى آسي المَـريض الجاهِ العَريضِ، به جبْرُ المَهِـيضِ بَـدَا
وذي إذا العُـدَاةُ أتَـتْ، تَبْقـى بَـدَادِ بَـدَا[1]

فهذان البيتان: ازدوجا في قافيتي(بدا- بدا)، بينما ازدوجت مثاني الأبيات الموالية كلها في جناسات قوافيها كما يلي: (وجدا- وجدا) - (وردا- وردى) - (وعدا- وعدا)- (ولدا- ولدى) - (غدا-غدا).

وعلى نفس النسق الازدواجي في جناسات قوافي مثاني الأبيات بنى الشيخ أحمد قصيدته، مثل قوله:

أَلَا مَـنْ لصَـبٍّ هـائمِ القلْـبِ مَلَّـه أحِبَّـاؤهُ؟ يـا ليْـتَ شِـعْرِيَ مَـن لَـهُ

بإضغام النون في لام له. وقد اتبع هذه التقنية، ولكن بشكل جزئي، في قصيدته النونية من الكامل:

قَـرَحَ الحَـمَامُ بـأدْمُعِي أجْفَـانِي بفُنُـونِ ألْحَـانٍ عـلى أفْنَـانِ
ففنيـتُ إذْ أفْنَـي العَـزاءَ بشـدْوهِ مـا للحَـمَامِ بشـدْوه أفْنَـاني
وَعَـلَى الغَـضَى مُـتَرَنِّمًا إذْ جَمْـرُهُ يُذْكِي الأضالِعَ، وَهْـوَ في الأغْصَـانِ
وغَـدَا يُطـارِحُنِي البكـاءَ، وإلْفُـهُ دَانٍ، وإلْفِـي - عنْـوَة- أقْصَـاني
فكَـأنَّنِي بِبُكَائِـهِ أوْصَـيْتُه وَكَأنَّـهُ- ببُكائِـه- أوْصَـانِي
مـا إنْ لنـا مـن ألْفَـةٍ وتفـاهُمٍ بل نَحْنُ - منْ برْحِ الجَـوَى- إلْفَـانِ

[1]- **بَدَادِ**: متفرق متبدد.

يـا قلـبُ، مـا لـكَ وَالحَـمَامَ وَأَرْبُعَـا لعِـبَ الزمـانُ بأَهْلِهَـا فِي الغَـانِي[1]؟

أما **الجناسات الأفقية** الاتجاه، فتتمثل في **جناس التصريع** في **مطالع** قصائده:

مثل قصيدته:

وظبْيٍ، كحِيلِ الطرْفِ، والحُسْنُ عَمَّهُ أبـانَ وِصـالي مـذ دَعـانِيَّ: عَمَّـهُ

وقصيدته:

أبِالقلْـبِ تَـذْكارُ الأحِـبَّةِ؟ أوْبِـهِ هَـوَى قَاتِـلٌ فِي سَـيْرِهِ قبْـلَ أوْبِـهِ؟

وقصيدته:

أَلَا مَـنْ لصَـبٍّ هـائمِ القلْـبِ مَلَّـه أحِبَّاؤهُ؟ يـا ليْـتَ شِـعْرِيَ مَـن لَـهُ؟

وقصيدته:

ثَوَيْـتَ بـأَرْضٍ، لا نَجَـاةَ ولا أمْنَـا لثاوٍ بها، والرَّكْبُ- ويْحَكَ- قدْ أمْنى[2]

وقصيدته:

إذا جئت وحدي البيت أو جئت في جمع وعاينْـتُ مَـا بـيْنَ المَقَـامِ إلى جَمْـعِ

وهناك **نوع آخر من هذه الجناسات الأفقية**، لا يتموقع في نهايتي الشطر الأول، والشطر الثاني في التصريعات، بقدر ما **يتكثف موضعيا مقترنا بالقوافي النهائية**؛ حيث **يصطنع قافيتين أفقيتين** في نهاية كل بيت، **أخراهما** ترجيع لصدى **أولاهما**، تكثيفا لإيقاعات القوافي، ومثاله:

ليـالي البِـيض تُزْهُـرِ مُقْمِـرَات وزِيـرِي طيِّـبِ الأرْدَانِ دَانِي

---

[1]- **الغَضَى**: شجرٌ من الأَثْل خشبُه من أَصلب الخشب، وجمره يبقى زمانا طويلاً لا ينطفئ.

[2]- **ثَوَيْت**: ثوى بالمكان أقام به واستقر. **أمنى**: أتى مشعر "منى" في الحج.

ليـــالي الوصـــل رانيـــةٌ إليْنـــا ومَـــنْ أهْـــوَى مـــنَ الأقْـــرَانِ رانِي
فأذْرَيْـتُ الـدموعَ، ونُحْـتُ، حتَّـى غَـدَا دَمْعِـي- مـن الأجْفَـانِ- فـاني
تَـــلَاهُ دَمُ العُيـــونِ، كـــأُرْجُوَانٍ لـــه الأخْـــدُودُ، بالأذْقـــانِ قـــانِي
ألا يـــا حِـــبُّ، إنَّ القلْـــبَ صـــالٍ حَمِـــيمَ الشَّـــوْقِ في ذا الآنِ آنِ
فـــأذْعَنَ للغَـــرامِ عـــلى خُشـــوعٍ تَعَـــدَّى رُتْبَـــةَ الإذْعَـــانِ عَـــانِ[1]

وكل هذه **الجناسات** التي **تُرَصِّعُ** جسد ونسيج **نصوص الشيخ أحمد،** عموديا وأفقيا، **تدخل**-أيضا- في **ظاهرتي رد العجز** على الصدر، و"لزوم مالا يلزم"، اللتين لا يتجشمها من الشعراء والأدباء إلا الذين يمتلكون ثروة لغوية وافرة، وقدرة نظمية متمرسة.

ومن **مظاهر القطبية الشعرية**- على **المستوى الأسلوبي**- لدى **الشيخ أحمد،** إتقانه ببراعة للعبة **الحوار الغزلي الشعري،** في إحدى روائعه، مستعينا فيها ببعض تلك الفنيات البديعة، مثل: **"رد العجز على الصدر"**، المساعد على ترتيب بنية الأجوبة على بنية الأسئلة، ولو عبْر جدلية **الصوت**/ "هند"، **الصدى**/ "الشاعر"، المُرَجّع في إجاباته لأصداء جوهر تساؤلاتها، تعبيرا عن الموافقة التلقائية المتلهفة المختصرة الحاسمة على جُلِّ عُروضها المُمَنِّية المُشوِّقة. يقول في مقتبس من دالية من الطويل:

[1]- **رانيةٌ**: مديمة النظر إعجابا. **أذْعَنَ**: انقاد له وخضع. **العاني**: الذليل، ومعناها الأسير أيضا.

وبرْقٍ، شرى، وهْنا؛ فأغْرَى بيَ الوجْدا ... يَلوحُ، على نجْد، ومن سكنوا نجْـدا
فقالتْ: حفظْتَ العَهْدَ؟ قلتُ لها: نعمْ ... حفظتُ، على ما كانَ، منْكِ، لكِ، العَهْدا
فقالتْ: بمَغْنانا مـرزْتَ؛ فهـل تـرى ... به العهْدَ وكَّافا؟ فقلتُ: أرَى العهْدا
فقالتْ: أجُزْتَ الأبْلقَ الفرْدَ باكيـا؟ ... فقلتُ لها: دمْعي سقَى الأبْلَقَ الفرْدا
فقالتْ: ذكَرْتَ الخَدَّ، والنَّهْدَ، عِنْدَه؟ ... فقلتُ: حَرٍ أنْ أذْكُـرَ الخَـدَّ، والنَّهْـدا
فقالتْ: بلغْتَ الجَهْدَ منْ شِدَّة البُكا؟ ... فقلْتُ: جَديرٌ، ثَـمَّ، أنْ أبْلُـغَ الجَهْـدا
فقالتْ: على مَا فيكَ منْ لاعِجِ الهوَى ... أراكَ تَشَكَّى البَرْدَ؟ قلتُ لهـا: الـبَرْدا
فقالتْ: فبُرْدِي مِنْهُ، يا حِـبُّ، واقِيـا ... أأنْتَ تُحِبُّ البُرْدَ؟ قلـتُ لهـا: الـبُرْدا
وقلتُ: فهـاتِي الـبُرْدَ، قالـتْ مُجيبَـةً: ... أتطْمعُ رِفْدًا؟ نَحْنُ لا نَبْـذُلُ الرِّفْـدَا
مَواعيــدُنا زُورٌ، وكــمْ غَــرَّ قوْلُنــا ... أخَا الرُّشْدِ، حتَّى صارَ لا يَعْرِفُ الرُّشْدا[1]

3- قطب الشعراء ومدار المشاعرات

وتتجلى **مشيخة الشيخ أحمد الشعرية** أيضا - في **بعدها الاجتماعي**- من خلال **مشاعراته الكثيرة**، التي تمتد **خارج فضائه الاجتماعي** الضيق، إلى **فضاءات قبلية وجغرافية متعددة**، متسمة ببصمة الودِّية المُطْلَقَةِ، والبعد عن المنافرات والمهاترات، إذ كان هو **قطب بريدها** الذي يتوافد إليه **واردها** بالمحبة والتقدير، ومنه ينطلق **صادِرُها** ردا بالمثل وأكثر، وذلك ما يعنى أن **الشعر** أصبح - داخل **"بيت القصيد"** هذا - **وحضرة الشعر والشعراء** تلك- هو **لغة التداول** المحببة، ولسان المراسلات المهيمن، وخطاب الحب والحماسة، **وله** في ذلك **سلف وموروثات متأصلة**، فـ**"القصيدة الأربعينة"** الآنفة الذكر، مثال **للمشاعرة البوسيفية الخضراء** عموما، ففيها تساجلَ أربعون فارسا من الشعراء يبثون روح الحماسة بينهم لخوض معركة مصيرية بالنسبة إليهم، و**الوالد "آدب"** نفسه رأيناه

[1]- **شرى**: (البرق) تتابع لمعانه. **والوَهْنُ**: نحوُ نصف الليل أَو بعدَ ساعةٍ منه. **وكَّافا**: الوكاف من المطر المنهمر **حَرٍ**: جدير وخليق وحقيق.

يساجل **الحامد بن امَّيْنُوه** خلال لحظة توديع مخلدة، و"**سيديَّ**" ساجل والده "**آدب**" بطريقة غير مباشرة، إذ خمَّسَ إحْدى قصائده، **فتداخلت شاعريتا الوالد والابن** في نسيج نص واحد مشترك بينهما، كما أنه **تبادل الشعر** مع مضيفه في حضرة أهل الشيخ سيدي المختار الكنتي بأزواد، في لحظة توديع أيضا، أما **الشيخ أحمد** فقد استقبل- منذ صرخة ميلاده- هدهدات والده "**آدب**" بالشعر في مَهْده، وتلقَّى "تربية" أخِيه وشيخه **سيديَّ** عبر **سجال شعري** متكرر بينهما خلال فتوته، كان فيه الخطاب الشعري التربوي من سيدي للشيخ أحمد بمثابة الخطاب النثري في كتابي: "**جنة المُريد دون المَريد**"، و"**إرشاد السالك لأقوم المسالك**"، اللذين ألفهما **الشيخ سيدي محمد** لتلميذيه الأقربين: **الشيخ سيدي** الأنتشائي، و**محمد ويقي** بن سيد الأمين البوسيفي **عم أبناء آدب**، كما أن **الشيخ أحمد** أيضا بجَّلَه **أخوه** الآخر **محمد الحوار** بالشعر، وترضَّاه واعْترف له بالخلافة "الآدبيَّة".. ربما في **حوار شعري** ضاع أحد طرفيه، وشواهد هذه **المشاعرات العائلية** قد تقدم بعضها، ولا داعي لتكرارها هنا.

وغير بعيد عن هذا الإطار العائلي، **هناك مشاعرات بينه وبين** تلميذه وصهره: **الجيلي** بن أحمد انبسيف، كانت إحداها حول **مجالس الشاي**، أدرجتها تحت عنوان: جدل **السلوى والتقوى**، في مقال لي منشور حول الشاي في الشعر الموريتاني، ومن مفارقات ما يلاحظ هنا أن **الشيخ** يُغَلِّبُ فيها **جانبَ التبسُّط**، ويرجو من الله العفو والسلامة في التَّنَعُّم بها، بينما **التلميذ** يُغلِّبُ **جانبَ الانقباض**، وإن كان يستبيحها في النهاية ما لم يحرمها الشرع، يقول **الشيح أحمد بن آدب**:

وكـــاسٍ بـــماءِ رنَّحَتْـــه غمامـــة ... عـلى كـل فـرْدٍ منْـه تبْـدو عِمَامَـة

ويقول الجيلي بن أحمد انبسيف:

لئنْ كـانَ مـن صـافِي الأتَـاءِ سَـلامَة ... لَـنْ همُّـه التَّقْـوَى فتلْـك الكرامـة

وهناك عدة مشاعرات أخرى **بينه** وابن عمه: الشاعر العالم: **محْمد بن الدي**؛ حفيد أحمد بن سيد الأمين شقيق عبد القادر "آدب"، حيث يعاتب **الشيخ أحمد** قريبه:

خلـيلي، مـا للأقْـرَبينَ بَـدَا الصَّـدُّ لنا منْهمُ في الضِّيقِ، وانْمَحَقَ الـوُدُّ؟

فيـوْمِي ولَـيْلِي في السَّـعِيرِ ولفْحِـه ويلهيهمُ عـن وصْـليَ الخَـدُّ والقـدُّ[1]

ويرد عليه محمد بن الدي:

لحا اللهُ خُلَّاطَ النميمـة، كـم جَّـدُوا ليبْعـدَ منّـا العـمُّ، والأبُ، والجَـدُّ!
فلوْلا الرواسِي مـن شـوامِخ حِلْمِـه لبانوا بـه، حيـث انْتَهَـى بهـمُ البُعْـدُ

وهناك مشاعرات كثيرة بين **الشيخ أحمد**، و**محمد بن باب** بن باب أحمد **بن الشيخ سيدي المختار** الكنتي، الذي احتفي **الشيخ أحمد** بمقدمه، وبالغ في إكرامه، وعندما غادره في جولته التي انتهت به إلى حضرة أهل الشيخ سيدي، كان حبل الوصل الشعري بينهما متصلا عن طريق المراسلات، مثل قول **محمد بن باب**:

إلى بـــدْر الـــتّمامِ مـــن الأنـــامِ وكنْـز السِّـــرِّ مـــن أبْنَـاءِ ســام
لجـــوْهرةِ المعـــالي والمعـــاني وشِنْشِـــنَة الـــترَؤُس والتســـامي
خلفيـــة مَـــنْ تقـــدَّمَ مـــنْ كِـــرَامِ كـــرام مـــنْ كـــرامٍ مـــنْ كـــرامِ
ســـلامٌ فـــاقَ أنْـــوارَ الـــلَّآلي وفـــاقَ مَذاقـــهُ طعْـــمَ المـــدامِ
عليْـــكَ مُكـــرَّرا، ألفـــيْ ســـلامٍ ســـلام في ســـلامٍ في ســـلامِ[2]

[1]- **الصَّدُّ**: المنع والصرف والردع.
[2]- **شِنْشِنَة**: عادة غالبة.

وكان جواب **الشيخ أحمد**:

ألا يـــا راكبـــا يطْـــوي المَـــوامِي ... بخُـــوصٍ في الفَدافِـــدِ كالســـهامِ
إذا جئـــتَ الإمـــامَ فأبْلِغَنْـــهُ ... ســـلاما في سَـــلامٍ في سَـــلَامِ
ســلاما مــن طلــوع الشــمْس أحْــلى ... وأحْـــلى مـــنْ مُشَعْشَـــعَةِ المـــدام
ســلاما مــن مَشــوق القلْــب تُحْنَــى ... أضـــالعُه عـــلى جمْـــرِ الغـــرَام
وبعْـــد فـــإنَّ قلْبِـــي ذُو اشْـــتِياقٍ ... ودمْعِـــي بعْـــدَ بُعْـــدكَ فِي انْسِـــجَامِ
أرَى ليْـــلَ السّـــليم كمِثْـــلِ لـــيْلِي ... فجَفْنـــي لا يُواصِـــلُهُ مَنـــامِي
ويـــوْمِي حَالِـــكٌ، والحـــالُ منِّـــي ... هُيـــامٌ في هُيـــامٍ في هُيَـــامِ
وشـــوْقي وانْتِحـــابي واكتئـــابي ... ســـقامٌ في ســـقامٍ في ســـقامِ
مُحَمَّـــدُ ذو المَفَـــاخِرِ هـــو ذُخْـــرِي ... وأنْســـي في التحـــرُّكِ والمُقـــامِ
إمَـــامٌ مـــن إمـــامٍ مـــن إمـــامٍ ... هُمَـــامٍ مـــنْ هُمَـــامٍ مـــنْ هُمَـــامِ[1]

وعندما رجع **محمد** إلى **الشيخ أحمد** كان السلام والترحيب بينهما سجالا شعريا مباشرا، فقال **الشيخ أحمد**:

أهْـــلا بمقـــدمكمْ إذ كـــانَ مـــا كانـــا ... من طُول غيْبتكمْ فالأوْبُ هـــا حانـــا
أهْـــلا بحارســـنا أهْـــلا برائســـنا ... أهْـــلا بسائســـنا سِرًّا وإعْلانـــا[2]

فقال **محمد بن باب**:

أهْـــلا بقـــرْم هُمَـــام ســـيد بطـــل ... صـــافي المـــودة نهْـــواه ويهْوانـــا[3]

---

[1]- **المَوامِي**: جمع موماة المفازة الواسعة. **الفَدافِد**: جمع الفَدْفَد: الأرضُ الواسعة المستويةُ لا شيءَ بها. **حَالِكٌ**: شديد الظلمة والسواد. **هُيامٌ**: الجنون من العشق. **ذُخْرِي**: ما يذخره الإنسان ويحتفظ به لوقت الحاجة.

[2]- **الأوْبُ**: الرجوع والعودة، وتعني أيضا السير طول النهار حتى الليل.

[3]- **القَرْمُ**: الفحل.

فقال **الشيخ أحمد**:

أهْلا بمنْ فضْلُه في الخلْـق شـاعَ وذا عَ.. اللهُ يرْفعُــه عــن ذاك مَوْلانــا

فقال **محمد بن باب**:

أهْـلا بمـنْ قـد سـقتهُ سـادةٌ عُظَـمَا عــذبا زُلالا يَفــوقُ خمْــرَ بيْســانا

فقال **الشيخ أحمد**:

فالحمــــد لله مولانــــا وســــيدنا قــد زارنــا بعــد منــآه ومنآنــا
لما مَضَـى ما مضَـى مـن بيْنـه ونَـآى يا ليْتَنِي كنتْ قبْل اليوْم "دمْمَانـا"[1]

فقال **محمد بن باب**:

إذا تقاربــتِ الأفْهــامُ واتَّســقتْ تُغْنِي عـنِ القـرْبِ حِسًّـا أيْـنَما كانـا

وكما وجدنا **مشاعرة** مختصرة **بين الحامد** بن امَّيْنوه، وعبد القادر **"آدب"** بن سيد الأمين، وجدنا كذلك نفس المصادقة والمشاعرة **ورثها ابناهما**: محمد **بن الحامد** من علماء وأدباء أولاد سيدي الوافي، والشيخ أحمد **بن آدب**، فقد قال الأول للثاني:

أما – والذي أوْلاكَ من كلِّ ما ترضى– شمائلَ، أعْيَـا نيْلُهـا الكـلَّ والبَعْضَـا
لقـد سَرَّنَـا منْـك القُـدومُ مَسَـرَّةً يوازي لذيذَ البسْط، من طيبها القبْضا
ونبَّــهَ مِنَّــا أعْيُنًــا طــالَ غمْضُــها فأضْحَتْ بِمَحْضِ البشْر، لا تَألَفُ الغمْضا
شــمائلك العليــا شــمائل منتــه تبوَّأهُ.. للفضْـل.. مالكُـه.. الأرْضى
فـأرْضَى بـه أهـلَ المَسـائلِ حجـة وأرْضَى بِه أهْلَ الصَّـبابةِ والمَـرْضى[2]

---

[1]– **منآه**: بُعده.

[2]– **تبوَّأهُ**: أصلحه وهيأه.

فأجابه الشيخ أحمد، وكأنه يومي إلى ميراث المودة، والشاعرية، المنحدر إليهما من أبويهما:

بحبك، قد غُذِّيتُ، ذا الخَلْقِ الأرْضى وذا الحق، بالحق الصراح، ألا فارْضى
ومن بعد علم الله، فأعام بأنني محبتُكَ العليا، أدينُ بها فرْضا
إذا عَنّ أمْرٌ في العَشيرةِ داهِمٌ فأنْتَ الذي أدْرَى، وأنْتَ الذِي أقْضى
فنقْضٌ، وإبْرامٌ- بلاك- مُخَيَّبٌ فإن لك الإبرامَ - في الأمْر- والنقضا
فضائلكمْ عمَّتْ، فلله دركمْ وتَمَّتْ؛ فما تزدادُ؛ طولا، ولا عَرْضا[1]

وهناك مشاعرات أخرى متعددة بينه وبين الشاعر العلوي المفلق: محمد عبد الله **بن عبيد الرحمن**، منها قول هذا الشاعر:

وقوفُ الصبِّ بالطَّلَلِ المُحيلِ ووشْكُ نوَى الأحِبَّةِ والرَّحيل
وإيماضُ البُرُوقِ على مغاني أَلَاتِ النَّخْل، غرْبِيَّ النَّخيلِ
وإيماءُ الغَزَالِ، وقدْ توَلَّتْ مَطايا البَيْن، بالطرْف الكَحيلِ[2]

إلى أن يتخلص بقوله:

أأحْمَدُ، إنْ دَنَوْتَ، فلا أبَالي بفَقْدِي كلَّ ذي نَبَهٍ نَبِيلِ[3]

وكان **رد الشيخ أحمد**:

عيُونُ العيْنِ إبَّانَ الرَّحِيلِ تَكَلَّمُ بالضَّمِيرِ بغيْرِ قِيلِ
جِمالُ البيْن جافلة تَبَارَى لهَا الكَسْرُ المُبَدَّدُ منْ حَمِيلِ!

إلى أن يتخلَّصَ بقوله:

---

[1]- **عَنّ**: لاح وظهر وبدا. **داهِمٌ**: الآتي فجأة وبغثة داهمه غشيه وفاجأه. **بلاك**: بدونك.
[2]- **المُحيل**: الذي أتت عليه أحوال فغيرته. **إيماء**: إشارة. **البَيْن**: الفراق وانقطاع الوصل.
[3]- **نَبَه**: شريف القوم.

وقفتُ بدُورهمْ أبْكي اشتياقا ومن فرْط البكاءِ بكى زَميلي
فإنْ تكُ في المَحَبَّةِ لي زميلا وعَنِّي ليْسَ عِنْدَكَ من عَدِيلي
أرِحْنَا بالوقُوف بها قليلا لتبْريدِ الغليلِ من القليلِ
مَقِيلي معْكَ تنشرُ لِي عُلومًا يُنَنِّي في السيوطي والمغيلي[1]

وأخرى بينه وبين أدي بن الزين العلوي أيضا، حين أهدى له كتابا فقال:

يا مَنْ أنارَ الدُّنا، والدِّينَ، إيضاحا فصار- للأمْن، والإيمان- مِقْتَاحا
هذا كتابٌ، كرُوحٍ، خامرتْ جَسدا بل كارْتياحِ النَّدى، بل يُشْبِهُ الراحا
نرْجُو- من العُدْمِ، والأوْزَار- راحَتَنا متى - براحتكمْ- عنوانُه راحا

فأجابه **الشيخ أحمد**:

وافى الكتابُ، ومذْ وافَى- لرؤيته- قُمْنا نصفق، أشباحا، وأرواحا
يا حُسْنَه من كِتابٍ؛ لفظه درر وريحه عبقٌ -كالمسك- إن فاحا!
فاللهَ أسأله- عفْوا، لكمْ، وغِنًى ما كلُّ نذْب إليه جدَّ، وارتاحا
ما ألَّ برقٌ، وما هبت يمانية وما المُطَوَّقُ- فوْقَ الأيْكِ- قد ناحا[2]

وهناك **مشاعرة بينه مع بابيهْ ولد أحمد الهادي** سليل أسرة العلم الشهيرة، فقد كان في ضيق ما، فرأى **الشيخ أحمد** في المنام، فاعتبرها إحدى **"المبشرات"**، ففرَّج الله كربه، فسافر إليه مباشرة، وحين زاره، قال:

---

[1]- **عَدِيلي**: العديل: النظير.
[2]- **ألَّ**: برق ولمع.

ثـق بالـذي كنـت ترجـوه وتهـواه فالشـيخ أحمـد قـد عاينـت رؤيـاهُ
وقـد نزلـت بحمـد الله سـاحته ضيفا وقـد صـافحت يمنـاك يُمْنـاهُ
وقـد نظـرتَ جَبِينـا كـادَ يُبْصِـرُه مـنْ لا يُميـز سِـيَمَاهُ بسِـيماهُ
لولاهُ ما انْكشَفتْ عنْكَ الـدّيَاجي، تنـازَحَ الهـمُّ والـلأْواءُ، لـولاهُ
ولا عنِ الحَبيبِ -وعـنْ مغْنَـاهُ- أغْنَـاهُ[1]

فأجابه **الشيخ أحمد** عند توديعه:

أسـتودع اللهَ مـن مـرْأى مُحَيَّـاهُ فـوْزٌ لمـنْ يبْتَغـي فـوْزًا بمَـرْآهُ
وقرْبُـه راحـةٌ مِـنْ كـلِّ مُؤْذِيَـةٍ وحُبَّـهُ سُـلَّمٌ فِي حُـبِّ مَـوْلاهُ
هو الجَدَى، والهُدى، للمُجْتَدِي، ولمن ضـلتْ هـداهُ ولم يُهْنِئْـهُ مسْـعاهُ
وكـانَ وارثَ أجْـدَادٍ وِرَاثَـتُهُمْ علْـمُ النّبِـيِّ دَعَـوْا كـلًّا بـدَعْوَاهُ
فهُـمْ أحَـقُّ بِـه مِـنْ غـيْرِهِمْ، وهـمُ أدْرَى بألفاظِـهِ مـنْهمْ ومَعْنَـاهُ
وهمْ حُمَـاةُ الـذِّمَارِ، المُسْـتَغِيثُ بهـمْ - في الرَّوْعِ- كل ضريكٍ غَابَ مَوْلاهُ
وهمْ جلاءُ صدَى ريْنِ القُلوبِ، وهمْ مَنْ هُمْ إذا الأمْـرُ أعْيَـا مـنْ تـوَلَّاهُ[2]

هذه **مجرد نماذج** من **مشاعرات** الشيخ أحمد **بن آدب**، يستبين منها مدى **مركزيته** الاجتماعية، والثقافية، **ومشيخته الشعرية**، وامتدادات محبته وتقديره، وتوسع علاقته الروحية.

وفي **ختام الحديث** عن **مشاعرات الشيخ أحمد بن آدب**، أحبُّ أنْ أقف قليلا عند افتراضي لوجهٍ خَفِيٍّ منْها، يمكن أن أسميه: **مشاعرة النص الغائب**:

حيث **تَكَوَّنَ لديَّ حدْسٌ** أن **الشيخ أحمد** كان **متابعا** جيدا لنبض **الساحة الشعرية** داخل موريتانيا عموما، وخصوصا في منطقة **"القبلة" "عُكاظ"** الشعر

---

[1]- **تنازَحَ**: بعُد. **اللأْواءُ**: ضيق المعيشة، وتعني أيضا شدة المرض.

[2]- **الجَدَى**: العطاء، والمطر العام أيضا. **الذِّمارُ**: ما ينبغي حياطَتُه والذَّوْدُ عنه، كالأهل والعِرْض. **الرَّوْع**: الخوف والفزع. **ضريك**: الفقير البائس. **ريْن**: ما يغطي القلب من الذنوب.

الشنقيطي، و"**مِرْبَده**"، حيث **أحسست بظلال نصين غائبين في قصيدتين له** على الأقل، **إحداهما**: القصيدة الخامسة والثلاثون من ديوانه في المديح النبوي:

ألا عَـــوْدًا، لُيَـــيْلَاتِ التـــدَانِي فهـــا أَنَـــا ذا سَـــمِيري: الفَرْقَـــدَانِ
فعَيْشِـــي، بَعْـــدَكُنَّ، عـــلى اكْتئـــابٍ وشَـــوْقِيكُنَّ- مـــن وَلَـــهٍ- بَـــرَاني
ليـــالي البِـــيض تُزْهُـــرِ مُقْمِـــرَات وزِيـــــرِي طيِّـــــبِ الأرْدَانِ دَانِ
ليـــالي الوصْـــلِ رانيـــةٌ إلَيْنـــا ومَـــنْ أهْـــوَى مـــنَ الأقْـــرَانِ رانِ

بَكيْتُ، ومَـنْ هَوْيْـتُ، عـلى جَفَـائِي عَزومًـــا، لا أرَاهُ، ولا يَـــراني
عَــلَى حُبِّيــهِ- مَظْلَمَــةً- قَــلَانِي ودَهْرِي، مـا جَفَـوْتُ، وقـدْ جَفَـاني
فأذْرَيْـتُ الـدموعَ، ونُحْـتُ، حتَّـى غَـدَا دَمْعِـي- مـن الأجْفَـانِ- فـاني
تَــلَاهُ دَمُ العُيــونِ، كــأُرْجُوَانٍ لــه الأخْــدُودُ، بالأذْقــانِ قــانِي
ألا يــا حِــبُّ، إنَّ القلْــبَ صــالٍ حَمِــيمَ الشَّــوْقِ في ذا الآنِ آنِ
فــأذْعَنَ للغَــرامِ عــلى خُشــوعٍ تَعَــدَّى رُتْبَــةَ الإذْعَــانِ عَــانِ
ومـا شـوْقِي لـذاتِ الخـالِ: لـيْلَى ولا لُبْنَــى ومَيّــة الاثْنَتَــانِ
ولا دعْــدا هويــتُ، ولا سُــعادا ولا مَــيْلَاء، ترْفــلُ، في ازْدِيــانِ
ولَا شَــوْقِي لكاظِمــةٍ وسَــلْعٍ ورامَــة والعُــذيْب الأبْلقــان
ولا بــالبيضِ كــانَ لِيَّ ادِّكــارٌ ولا أنــا بالمَغــاني الزُّهْــر غــان
ولا أبْكــي عــلى طلــل، ومَغْنــى ومــالي بــالطلولِ، وبالمَغــاني؟
ولا حُــبُّ الرُّبُــوع وســاكنِيها ولكــنْ حُــبَّ أحْمَــدَ قــدْ سَــبَانِي
رشــيقِ القــدِّ، أبْلــجَ، ذِي شَــطاطٍ يَــدِينُ لــهُ قضــيبُ الخيْــزُرانِ
ويُعْشِــي النــاظرينَ بنُــورِ وجْــهٍ إنْ أسْــفَرَ، مــا سُــفُورُ الزِّبْرِقَــانِ؟
لــه عَــرَقٌ كــدُرٍّ إنْ عَــلَاهُ عَـلَا نَظْـمَ الجُـمَانِ عـلى الغَـوَانِي[1]

فهذا النص ربما كان **مشاعرة ضمنية مع نونية** الشاعر العالم: **أحمد بن محمد سالم المجلسي** 1891م:

أتــذْري عيْنُــه فَضَــضَ الجُــمَانِ غرامًــا مــن تَــذَكُّرِه المَغــانِي[2]؟

[1]- **الفَرْقدان**: نجمان في السماء لا يغرُبان. **بَرَاني**: أنحفني وأوهنني. **أبْلج**: ظاهر وواضح. **شَطاط**: طول واعْتِدالُ القامةِ، وقيل: حُسن القَوام. **يُعْشِي**: يجعل بصره ضعيفا ليلا. **الزِّبْرِقَان**: البدر ليلة تمامه.

[2]- **الفضض**: (من الشيء) ما تفرق منه، وعشب فضض متفرق ومنتشر.

فهذا **الشاعر أكبر** من الشيخ أحمد 1944م، **وقصيدته أشهرُ**، وأسْيَرُ، **وحكمي** الانطباعي المتسرع أن **نص المجلسي ألصق بمدرسة الطبع، ونص شاعرنا ألصق بمدرسة الصنعة.**

أما **القصيدة الثانية**، فهي السادسة من ديوان الشيخ أحمد.. الملحق بهذه العجالة:

وبــرْقٍ، شرى، وهْنــا؛ فــأغْرَى بيَ الوجْـــــــــــــــــــدا
يَلوحُ، على نجْد، ومن سكنوا نجْـدا

أرِقْتُ لـه، والقـومُ، بالليْـل، هُجَّـعٌ وعيْنــايَ ممَّــا كــانَ آلفَتَــا السُّــهْدا

وليْلٍ دجَا، أرْخى السُّدولَ مُعَسْعِسًا لقِيتُ، على رغْم الرَّقيبِ، بـه، هِنْـدا

فقالتْ: حفظْتَ العَهْدَ؟ قلتُ لها: نعمْ حفظتُ، عـلى مـا كـانَ، منْـكِ، لـكِ، العَهْـــــــــــــــــــدا

فقالتْ: بمَغْنانا مـررْتَ؛ فهـل تـرى به العهْدَ وكَّافا؟ فقلتُ: أرَى العهْدا

فقالتْ: أجُزْتَ الأبْلقَ الفرْدَ باكيـا؟ فقلتُ لها: دمْعي سقَى الأبْلَقَ الفرْدا

فقالتْ: ذكَرْتَ الخَدَّ، والنَّهْدَ، عِنْدَه؟ فقلتُ: حَرٍ أنْ أذْكُـرَ الخَـدَّ، والنَّهْـدا

فقالتْ: بلغْتَ الجَهْدَ منْ شِدَّة البُكا؟ فقلْتُ: جَديرٌ، ثَـمَّ، أنْ أبْلُـغَ الجَهْـدا

فقالتْ: وجَلْدًا كنْتَ؟ قلتُ: ويَنْفَدَنْ تَجَلُّدُ مَـنْ قـدْ كـانَ مُصْـطَبِرًا جَلْـدا

فقالتْ: نَرَى أنْ لا جُناحَ عَلَى الـذي بكـى الـدُّورَ، والأطْـلالَ، والـزَّمَنَ

وقالـتْ: بوعْـدٍ، قـدْ وعَـدْتُكَ مَـرَّةً الرَّغْـــــــــــــــــــدا

فقالتْ: ودَيْـن، قـد عجِلْـتَ تُريـدُه أأنْجِزَ ذاكَ الوعْدُ؟ قلتُ لها: الوعْـدا

فقالتْ: نرَى منْكَ الدموعَ سـوافِحا أأنْتَ تحبُّ النَّقْدَ؟ قلـتُ لهـا: النقْـدا

فقالتْ، وقد رقَّتْ لمَا بيَ مِـنْ جَـوى: أأبْدَى الهوى ما فيكَ؟ قلتُ لها: أبْدَى

فقالتْ: أذُقْتَ البَرْدَ، مِنْ بَعْدِ بَيْننـا؟ أأرْدَاكَ طُولُ الهَجْرِ؟ قلتُ لها: أرْدَى

فقالتْ: على مَا فيكَ منْ لاعِجِ الهوَى فقلتُ: حَمَـى عيْنـي تشـوُّقِكِ الـبَرْدا

فقالتْ: فهُدِّي منْكِ يا حبُّ، واقْصِرا أمَا آنَ تَبْكِي البَرْدَ؟ قلتُ لها: إنَّ البَرْدا

وقلتُ: فهـاتِي الـبُرْدَ، قالـتْ مُجيبَـةً: أتطْمعُ رِفْدًا؟ نَحْنُ لا نَبْـذُلُ الرِّفْـدَا
مَواعيــدُنا زُورٌ، وكــمْ غَــرَّ قوْلُنــا أخَا الرُّشْدِ، حتَّى صارَ لا يَعْـرِفُ الرُّشْـدا
وكمْ عاشقٍ يَبْغِي الوِصالَ قضى أسًى إذا ظــنَّ قُرْبــا يَسْــتَحِيلُ لــهُ بُعْـدا
فقلـتُ لهـا مـنْ بعْـدِ ضَـنٍّ بنيْلِهـا: فليْتِـكِ لُقِّنْـتَ السَّـمَاحَة، والمَجْـدا
مــن أكْــرَمِ خلْــقِ اللهِ، أطْوَلِــهِ يَـدا ومن هو – في بـذْلِ النَّـدَى– قـدْ غـدا

هذا النص يتصادى **مع قصيدة** الشاعر الحسني أحمد بن عبد الله الملقب: **الذيب (الصغير)** 1943م:

أهاجكَ بالألوَى معاهدُ مـن أرْوى بذي الرمل أو ذي العبد ألوت بها الأنوا
وليلةِ بـرقٍ بـات يَـشري وملعـبٍ لقيــتُ بــه – والليــلُ مــنسدلٌ –
تقول ترى هذا البريـقَ الـذي شرى أرْوى
فقالت: أتدري كيف حالُ ربوعنا؟ أأروى بذي النَّفعين؟ قـلتُ لها: أرْوى
فقالت: ويومُ البـينِ بالوصـل بيننـا أألوى بها الدلويُّ؟ قلتُ: لها: ألْـوى
فقلتُ: وأهواكم على طول بُخلكـم أأشْواكَ وَشكُ البينِ؟ قلتُ لها: أشْـوى
فقالـت: ومغنانـا بمنعـرَج اللـوى فقالت: أتهوانا؟ فقلت لهـا: أهْـوَى
فقالت: ومـا ألْـوى بصـبركَ يومنـا أأقوى خلافَ العهْدِ؟ قلتُ لها: أقْوى
فقالت: ويومَ البينِ حنيةَ ذي النقـى غداةَ بذي الألواءِ؟ قلتُ لها: ألْـوى
أذاكــرةٌ أيــامَ نحــن وأنــتمُ أأشواكَ بيْني عنْكَ؟ قلتُ لها: أشوى
فقلتُ لها: قـد قلـتُ فيـكِ قصـائدًا بعُدْوَتِه الدّنْيا، وعُدْوَتِه الـقُـصْـوى؟
فقلتُ: أيُرجى منكِ موقفُ ساعةٍ؟ فقالت: أيُرْوى ذاك؟ قلت لها: يُـروى

[1]– **هُجَّعٌ**: النائمون ليلا. **مُعَسْعِسًا**: عسعس الليل أقبل بظلامه. **جَلْدًا**: الجلد هو ذو القوة والشدة والبأس. **سوافِحا**: السافح الهاطل المنصب من المطر والدموع...

فقالت: فلا تعجلْ، فتنشرَ سِرَّنا إلى الليل؛ إذ سرُّ الصُّبَاةِ به يُطْوى
فلمّا طوى الضوءَ الظلامُ نَحَوْتُها ولم أدْرِ في زعْم الجُعَيْلِ إذًا نَحْوا
فما راعها إلا تَوجُّسُ زفرةٍ كزفرة ثكْلى آخرَ الليلِ أوْ أقْوى
فقالت: مُجِدٌّ؟ أنتَ تعلم أننا معاشرُ حوّاتِ اللَّمى عهْدُنا يُلْوى
فقلتُ:صِليني، قالت: اَعرفُ، وانبر كما ماس خوطُ البانِ، مُسْتَنًّا رَبْوَا[1]

فالشاعران متعاصران؛ بين وفاتيْهما سنة واحدة، ولهذا **يصعب**- بدون بحث معمق- **تحديد** سابقهما من لاحقهما، أو **المؤثر والمتأثر منهما، ونصاهما متطابقان** في البنية الحوارية المتقنة، ولا يكاد يفرق بينهما سوى حرفي الروي، ومآل التخلصين، **فالشيخ أحمد** فضل الخروج من بخل صاحبته بالوصل إلى كرم النبي صلى الله عليه وسلم، **والذيب الصغير** أسلمه اليأس من وصل صاحبته إلى رحلة أخرى. -

[1]- **أقْوى** المكان خلا من سكانه. **الصُّبَاةِ**: صاب المائل إلى الصبوة والفتوة. **حوّات**: حُوُّ الشِّفاء. **انبرتْ**: (للأمر) تعرَّض له وتصدَّى. **خوط**: غصن ناعم. **مُسْتَنًّا**: استنم الشيء ركبه وعلاه، واستنم البعيرَ ركب سنامه. **رَبْوَا**: الرابية، وهي ما ارتفع من الأرض.

ثامنـــا

مختارات من ديوان الشيخ أحمد ولد آدب

1- حرف الباء

- بائية من البسيط

فِيمَ انْهِمَاكُكِ في اللذاتِ، والطَّـرَبِ؟ ... إلَى مَتَـى أنْـتِ فِي لهْـوٍ، وفي لَعِـبِ؟
يـراكِ مـوْلاكِ فـيما قـد نهـاكِ معـا ... أوبِي، أمَا لكِ معْ موْلاكِ مـنْ أدَبِ؟
إنَّ الجَراءةَ، والإقْـدامَ، نفْـسُ، عـلَى ... ما اللهُ يبْغضُهُ من أعْجَـبِ العَجَـبِ!
كمْ راغبٍ ظلَّ، حتَّـى كَـلَّ، مُجْتَهِـدًا ... وراهبٍ ظلَّ يذْرِي الدَّمْعَ، كالسُّـحُبِ!
وأنْتِ في الأمْنِ! ماذا الأمْنُ؟ فاجْتَهِدِي ... يا نفْسُ، فِي رَغَبٍ كُوني، وفي رهَـبِ
قد آنَ مُعْتَـبَرٌ، فـيمَا مَضَـى اعْتَـبِرِي ... يا نفْسُ، مَالكِ مِـنْ أمٍّ، ولا مـن أبِ
أمَا سَمِعْتِ الذي بـالْموتِ مـنْ عَـدَدٍ ... أفْنِي، وأُصْمِتَ- بالتكْرار- منْ لجَبِ
لا بُدَّ من موْقـفٍ ضـنْكٍ، تُـرَيْنَ بِـهِ ... وفيـهِ مالَـكِ مـن مَـالٍ، ولا نَسَـبِ
إلَّا لِمَـنْ حَقَـرَ الـدُّنْيَا، وَطَلَّقَهَـا ... ومَا لَهُ -غيْرَ رَبِّ الناسِ- مـن أرَبِ
إنْ كنْتِ فِي رُتْبَةٍ غرَّتْـكِ، نفْـسُ، فـمَا ... في المَوْقِفِ الضَّنْكِ منْ جاهٍ ولا رُتَبِ

- بائية من الطويل

أبِالقلْـبِ تَذْكـارُ الأحِـبَّةِ؟ أوْبِـهِ ... هَـوًى قَاتِـلٌ فِي سَـيْرِهِ قبْـلَ أوْبِـهِ؟
بلى حُبُّ حِبٍّ خَـامَرَ القلْـبَ حُبُّـهُ ... ومَنْـآهُ عنْـهُ فِي تَضـاعُفِ كرْبِـهِ

ففِي القلْبِ نَـارٌ، والحَشَـا مُتَأَجِّـجٌ ... وذكر الذي يهوى مدى الدهر يصبه
فمُزْنُ دُمُوعِـي، لا تَـنِي عنْدَ ذِكْرِهِ ... بِخَدِّيَّ أُخْـدُودٌ مـنْ آثـارِ سَـكْبِهِ
ومالِيَ لا أَبْكِـي، وأنْـدُبُ، دَائِـمًا ... حبيبـا، نَـأَى عَنِّـي الزَّمَـانُ بقُرْبِـهِ
وأيُّ فتًـى، لم يحْـرقِ الشَّـوْقُ قلبَـه ... فـإنَّ فُـؤادي ذاك أكْـبَرُ عُجْـبِهِ
فلَلْمَوْتُ -عِشْقـا- لِلفَتَى خيْرُ مَوْتِـهِ ... كمـوْت مُحِـبٍّ مـات في إِثْـرِ حِبِّـهِ
فيا حَادِيَّ الرُّكْبَانِ، قلْـبِي أَسِيـرُكمْ ... وإنْ جزْتمُ أطْـلالَ حِبِّـيَّ عُـجْ بِـهِ
رعَى اللهُ ركْبـا، فِي المَفَـاوِزِ صـمَّمُوا ... ويَطْوِي بسيطَ البِيدِ أَخْفـافُ نُجْبِـهِ
حَنَـايَـا، كأَشْبَـاحِ القِـسِيِّ أهِلَّـةٌ ... بَـرَى نَيَّهَـا الـنَّصُّ المُجِـدُّ بصَـحْبِهِ
إذا لمْ يَغِثْنِـي أحْمَـدٌ بوِصَـالِهِ ... فلا آمـنُ المَـوْتَ الضرـوب بَعَضِـبِهِ
على أحْمَدٍ بدْرِ الـتَّمَامِ وآلِـهِ ... صَـلاةٌ، وتسْلِـيمٌ، من الله، ربِّـهِ
بقـدْرِ نَجَـاحِ السَّائِلِـينَ بِفَضْلِـهِ ... وآلٍ، وصَحْبٍ، تابِعِـينَ، لِحِزْبِهِ

2- حرف التاء

- تائية من البسيط

أرجـو لمـا نـابني دهـري ابـن آمنـة ... أرجوه في يقظتي - نومي- وفي سِنَتِي
أرْجـوهُ، عِـدَّة أنفـاسي، ولحظتهـا ... في اليـوم في الشـهر، في الأسـبوع، في
ذِكْريـهِ أَنَّسَـنِي، كـذاك ينعشـني ... سـتي
يـا لوْعـةً بِـتُّ أشْـكوها تُـؤرِّقُني ... مَـرُّ الريـاح التـي مِـنْ أرْضِـه سَرَتِ
النـار في كبِـدي، منْهـا، وفي خَلَـدِي ... للجفن- بعد الهدُوِّ- الليلَ قد مَرَتِ
فيا لها لوْعَة، للقلـبِ، قـد صَـدَعَتْ ... وبِنْتُ عن جَلدي، والجِسْمَ قدْ بَرَتِ
حبٌّ شُـغِفْتُ بـه، نفْسـي تُجَـنُّ بـه ... الشَّوْق قد أوْقدَتْ، والنوم قد نَفَـتِ
يا ذا الذي قد بَنَا في القلْـبِ مَسْـكنُه ... ومِـنْ تَجَنُّبِـهِ نـارُ الأسَـى قَلَـتِ

غوْثـاهُ! غوْثـاهُ! مِمَّـا كـانَ يُزْعِجُنِـي ... وكلُّ ما النفْسُ في الآثـامِ قـد جَنَـتِ
يا من على الخلْقِ قـد عمَّـت مَواهِبُـه ... أرجـو جَـدَاكَ فـإنِّي لسْـتُ ذَا جِـدَةِ
أنـا الفقـيرُ إلى جـدْواكَ يـا أمَـلِي ... أنـا الفقـيرُ إلَى عَفْـوٍ وَمَرْحَمَـةِ
صـلَّى الإلـهُ عَـلَى الهـادِي وشِـيعَتِهِ ... مَا الورْقُ شاديةً - في غصْنِها- شَدَتِ

- تائية من الوافر

حَمَـامَ الشَّمْسِـياتِ أثـرْتَ شـوْقِي ... حنانَـكَ، يـا حَمَـامَ الشَّمْسِـياتِ
تَنُـوحَ تَوَجُّعًـا مِـنْ غَـيْرِ دَمْـعٍ ... ونَـوْحِي بالـدُّمُوعِ الـذَّارِياتِ
فإِلْفُـكَ فِي جِـوَارِكَ، فِي غِيَـاضٍ ... وإِلْفِـي فِي الفَيَـافِي الشاسِـعَاتِ

3- حرف الجيم

- جيمية من الطويل

ومـا أشربُ الـدخانَ قصْـدَ تَكَـبُّرٍ ... ولا أَبْتَغِي عـنْ مَـنْهَجِ الحـقِّ منْهَجَـا
ولكـنَّ شـيطانَ الهُمُـومِ بصـدْرِنا ... عصـانا، فـدَخَنَّا عليْـهِ ليَخْرُجَـا

4- حرف الدال

- دالية من الطويل

وبرْقٍ، شرى، وهْنا؛ فأغْرَى بيَ الوجْدا ... يَلوحُ، على نجْد، ومن سكنوا نجْـدا
أرِقْتُ لـه، والقـومُ، بالليْـل، هُجَّـعٌ ... وعيْنـايَ ممَّـا كـانَ آلَفَتَـا السُّـهْدا
وليْلٍ دجَا، أرْخى السُّدولَ مُعَسْعِسًا ... لقِيتُ، على رغْم الرَّقيبِ، بـه، هِنْـدا
فقالتْ: حفظْتَ العَهْدَ؟ قلتُ لها: نعمْ ... حفظتُ، على ما كانَ، منْكِ، لكِ، العَهْدا
فقالتْ: بمَغْنانا مـرزْتَ؛ فهـل تـرى ... به العهْدَ وكَّافا؟ فقلتُ: أرَى العهْدا

فقالتْ: أجُزْتَ الأبْلقَ الفرْدَ باكيـا؟ فقلتُ لها: دمْعي سقَى الأبْلَقَ الفرْدا
فقالتْ: ذكَرْتَ الخَدَّ، والنَّهْدَ، عِنْدَه؟ فقلتُ: حَرِ أنْ أذْكُـرَ الخَـدَّ، والنَّهْـدا
فقالتْ: بلغْتَ الجَهْدَ مِنْ شِدَّة البُكا؟ فقلْتُ: جَديرٌ، ثَـمَّ، أنْ أبْلُـغَ الجَهْـدا
فقالتْ: وجَلْدًا كنْتَ؟ قلتُ: ويَنْفَدَنْ تَجَلُّدُ مَـنْ قـدْ كـانَ مُصْـطَبِرًا جَلْـدا
فقالتْ: نَرَى أنْ لا جُناحَ عَلَى الـذي بكى الدُّورَ، والأطْلالَ، والزَّمَنَ الرَّغْدا
وقالـتْ: بوعْـدٍ، قـدْ وعَـدْتُكَ مَـرَّةً أأنْجِزَ ذاكَ الوعْدُ؟ قلتُ لها: الوعْـدا
فقالتْ: ودَيْـن، قـد عجِلْـتَ تُريـدُه أأنْتَ تحبُّ النَّقْدَ؟ قلـتُ لهـا: النقْـدا
فقالتْ: نرَى منْكَ الدموعَ سـوافِحا أأبْدَى الهوى ما فيكَ؟ قلتُ لها: أبْدَى
فقالتْ، وقد رقَّتْ لَمَا بيَ مِـنْ جَـوى: أأرْدَاكَ طُولُ الهَجْرِ؟ قلتُ لها: أرْدَى
فقالتْ: أذُقْتَ البَرْدَ، مِنْ بَعْدِ بَيْننـا؟ فقلتُ: حَمَـى عيْنـي تشـوُّقِكِ الـبَرْدا
فقالتْ: على مَا فيكَ منْ لاعِجِ الهوَى أراكَ تَشَكَّى البَرْدَ؟ قلتُ لهـا: الـبَرْدا
فقالتْ: فبُرْدِي مِنْهُ، يا حِـبُّ، واقِيـا أأنْتَ تُحِبُّ البُرْدَ؟ قلـتُ لهـا: الـبُرْدا
وقلتُ: فهـاتِي الـبُرْدَ، قالـتْ مُجيبَـةً: أتطْمعُ رِفْدًا؟ نَحْنُ لا نَبْـذُلُ الرِّفْـدَا
مَواعيـدُنا زُورٌ، وكـمْ غَـرَّ قوْلُنـا أخَا الرُّشْدِ، حتَّى صارَ لا يَعْرِفُ الرُّشْدا
وكمْ عاشقٍ يَبْغِي الوِصالَ قضى أسًى إذا ظـنَّ قُرْبـا يَسْـتَحِيلُ لـهُ بُعْـدا
فقلـتُ لهـا مـنْ بعْـدِ ضَـنٍّ بنيْلِهـا: فليْتِـكِ لُقِّنْـتَ السَّـمَاحَة، والمَجْـدا
مـن أكْـرَمِ خلْـقِ الله، أطْوَلِـهِ يَـدا ومن هو -في بذْلِ النَّدَى- قدْ غدا فرْدا
وصـبْح، وليْـل- بـاليقينِ- تراهُمـا إذا ما رأيتَ الوجْهَ، والشَّعَرَ الجَعْـدَا
وبرْق حيا في الدجن، إنْ ريع باسـما عـلى أنَّـه -مـن وَكْفِـه- كفِّـه أنْـدَى
فيـا رَبِّ، مَتِّعْنِـي برُؤْيَـةِ وجْـهِ مَـنْ بُدورُ الدُّجَى تَغْدُو- لطَلْعَتِه- رُبْـدا

- دالية من الطويل

نسيمُ الصبا- من أرْضِ هنْدٍ- زجَى رَنْدَا ومـنْ دارِ هنْـدٍ حبَّـذَا هِيَّتِـي مـنْ دا

فإنْ نسِيَتْ هنْدٌ -علَى النَّأْيِ- أنَّنِي ... تُزَهْزِهُنِي الأشْواقُ منْ ذكْرَتِي هِنْدَا
لقد جهَّزَتْ نحْوِي جُنودًا من الهَوَى ... إذا حانَ من جُنْدٍ قفولٌ تُرِي جُنْدَا
هوى منْ هَوَى هنْدٍ أصابَ مَقاتِلِي ... فلمْ يُبْقِ لي لحْمًا، ولمْ يُبْقِ لي جِلْدَا
هوى قد بَرَى جِسْمي، وأفْنى تجَلُّدي ... وكنْتُ علَى الآزام - مِنْ قَبْلِهِ- جَلْدَا
هوى هَدَّ رُكْنَ الصَّبْرِ، والقلْب فَلَّهُ ... يَفُلُّ الحديدَ الصلْبَ، والحَجَرَ الصَّلْدَا
أسُودُ العَرِينِ إنْ تكُنْ دُونَ أرْضِهَا ... أجوز عرينَ الأسْدِ، أقْتَحِم الأسْدَا
وإنْ تكُنِ الأعْدَاءُ منْ دُونِ أرْضِهَا ... سَأقْتَحَمُ الأعْدَاءَ، أخْتَرِقُ الأعْدَا
وأبْقَى لهَا فيمَا ترى الدَّهْرَ ثابِتًا ... وإنْ نَقَضَتْ عهْدا، وإنْ أخْلَفَتْ

- دالية من البسيط

سَوْقُ القريضِ، إلى آسِي المَريض، وذي ... جاهِ العَريضِ، به جَبْرُ المَهِيضِ بَدَا
الدُّنْيَا له حَصَلَتْ، فِي قلْبِهِ سَفُلَتْ ... إذا العُدَاةُ أتَتْ، تَبْقى بَدَادِ بَدَا
إنْ جِئْتَ سَائِلَهُ، يَحْبُوك نائِلَهُ ... يُعطيك عَاجِلَه بذْلًا ضَفَا وَجَدَا
إنْ لمْ تكُنْ جِدَةٌ، بشْرٌ على عِدَةٍ ... وإنْ تكنْ جِدَةٌ، يُعْطِي الذِي وَجَدا
رِدْ بحْرَ ذِي كَرَمٍ، يَسْقِيكَ منْ ظَمَأٍ ... ذو الجاه، والكوْثر الساقِي لمَنْ وَرَدَا
كَبْشُ الكَتِيبَةِ مُذْ لاقاهُ فِي حَنَقٍ ... لاقَى مُقَارَعَةً، حَاقَتْ بِه، وَرَدَى
قَوَلِي الذِي قُلْتُه، أُبَيٌّ يَعْلَمُهُ ... لَمَّا أسَاءَ عليْه، غِلْظَةً، وَعَدَا
إيعادُه الحَقُّ مقطوعٌ بِصِحَّتِهِ ... وقوْلُه صادقٌ، مُوفٍ بما وَعَدَا
فاقْصُدْهُ، لا مَلِكٌ، في الفضْلِ شاكَهَهُ ... كَلَّا، ولا والِدٌ، أيْضًا، ولا وَلَدَا
واقْصُدْهُ، حِينَ لَظَى حَرْبٍ قدِ الْتحَمَتْ ... ثم اقْصُدَنْهُ لدَى بذْلِ النَّدَى، وَلَدَى
سُودُ الخُطُوبِ، فَتَفْرِيجُ الكُروبِ، بِهِ ... مَحْوُ الذُّنُوبِ، بِه، هُوَ الشفِيعُ غَدَا
كمْ شَدَّ مِئْزَرَهُ، في نُجْحِ أُمَّتِهِ ... فِي أمْرِ خَالِقِهِ، كمْ راحَ، ثُمَّ غَدَا
عَلَيْهِ أزْكَى صَلَاةٍ، لَا يُحِيطُ بِهَا ... إلَّا الذِي قدَّرَ الأشْيَاءَ، ثمَّ هَدَى
جُزْلُ الكُمَاةِ، الهُدَاة، السَّادَةِ، الرُّشَدَا

5- حرف الراء

- رائية من البسيط

هل مِنَ كَمِيٍّ "يُكَمِّي" "مُدْنفًا" "تَارِي" لاقَى الهُمُومَ بأشْفَاعٍ، وأوْتَارِ
وَلا مُؤَنِّسَ يلْقَاهُ يُؤَنِّسُه لا مِنْ قريضٍ، وَلَا تَحْرِيكِ أوْتَارِ

- رائية من مجزأ الكامل

إنَّ الذينَ تَرَحَّلُوا نزلوا بعَيْنٍ ساهِرَهْ
أنْزَلْتُهمْ في مُقْلَتِي فإذا هُمُ بِالسَّاهِرَهْ

- رائية من البسيط

شوْقُ الحبيبِ، لَمَا بيْن الضلوع بَرَى وزنْدُ حُبِّيهِ أوْرَى، في الحَشا، سَقَرَا
من حُبِّهِ دنِفٌ، منْ نأيِه أسِفٌ قلبي به كَلِفٌ، للشوْق ما صَبَرَا
نفْسِي له وَمقَتْ، والعيْنُ قد أرِقتْ في دمْعِها غَرِقَتْ، إذ دمْعُها انْفَجَرا
الحُبُّ تيَّمَنِي، بالشوْق هيَّمَنِي طيْفٌ تأوَّبَنِي، ثم انْسَرَى، وسَرَى
حُمِّلْتُ من حُبِّ خيْرِ الخَلْقِ قاطبةً ما لوْ تَحَمَّلَهُ التَّوْبَاذُ لانْفَطَرَا
لوْ جَا علَى مَهَلٍ، أشْكُو بلا عَجَلٍ ما بيَّ منْ عِلَلٍ، كيْ يُذْهِبَ الوَحَرا
بلْ كنْتُ أعْذُرُه، فالجَفْنُ يَهْجُرُه نوْمِي، ويُسْهِرُهُ، ما بالحَشا اسْتَعَرَا
ليْتَ المَنَامَ-طُرُوقَ الطَّيْفِ- خامَرَنِي كيْ يَسْتَقِرَّ لدَى مَنْ قَلْبُه انْصَبَرَا
وقامَ يَعْذُلُنِي، مَنْ لَيْسَ يَعْذُرُنِي ظلْمًا، ويَزْجُرُنِي، عَنِّي ما انْزَجَرَا
والعذْلُ، والعذْلُ-يا ذا العَذْل- ما ائْتَلَفَا وكمْ يُلامُ الذِي صبَا؛ فمَا انْزَجَرَا!
ما للعَذُولِ سَرَى- في العَذْلِ- في حُبِّ حِبٍّ برَى قلْبِي فما انْصَبَرَا
وابْتَكَرَا أن المَلامَ جَرَى ذنْبا، ولي عَذَرَا

- رائية من البسيط

قلْ للـذي قـد بَنَـا مـا لـيس يَعْمُـرُهُ وَفضْـلُ خالِقِـهِ، في الـدهْرِ، يَغْمُـرُهُ
والمـاءُ، جـارٍ، حَوَالَيْـهِ، يَهُّـف، ومـا في الأرْضِ مِنْ ثَمَـرٍ هـا هـي تُثْمِـرُهُ
وصـارَ في فـرَحٍ، منْـه، وفي تـرَحٍ وعُمْـق بحْـرِ المَنَايَـا سـوْفَ يَعْـبُرُهُ:
لا تَغْـتَرِرْ بِخَيَـالَاتٍ، مُزَخْرَفَـةٍ كـانْ المَنـامُ بمَـنْ فِيـهِ يُـزَوِّرُهُ
إنِّي رأيـتُ قُـرًى كانـتْ مُحَصَّـنَةً دهْـرا، مُنَعَّمَـةً، والخُلْـد تُضْـمِرُهُ
هذي مَعاهِـدُها، صرْعَـى أماجِـدُها أمْسـتْ مُـكَسَّرَةً.. لا كَـسْرَ تُجْـبِرُهُ
مِنْ بعْدما قـد بَنَـوْا بنْيـانَهمْ وحَـوَوْا مُلْكـا عظـيما فنُـوا، والـوعْظُ أكْـبَرُهَ
ما قد ذَكَرْتُ لكمْ، قَوْمِيَّ، فـاعْتَبِرُوا ولْيَعْتَـبِرْ مَـنْ بَنَـى مَـا رَاقَ مَنْظَـرُهُ

6- حرف الظاء

- ظائية من الطويل

أراكِ مَقـــــالَ "الگـــــارظينَ" سَـــــمِعْتِه
وفَـا "الگرْظَـه"- في المَشْـهور- تأكلُـه "الأرْظـا"
فــلا تسْــمَعِي قــوْلَ امْــرِئٍ جــاءَ "گارظــا
كــما أنــا- قــدْما- فِيــكِ- لا أسْــمَعُ "الگرْظــا"
فــــمالي، ونفــــسي، في رضــــاك دفعــــتهم
جميعا.. و"اهَيْهْ".. "افْطَنْتِ".. ذا لمْ يكنْ "عَرْظا"

7- حرف العين

- عينية من البسيط

لوْ أدْرَكا أخَوايَ- الآن- مـا صـنَعا بِي الوَجْدُ، لمْ يَدْرِيَا حِلْـمًا، ولا ورَعـا

والله لـوْ عَلِـمَا مَـا قَـدْ أصِـبْتُ بِـه ... فيما ظننتُ، لَفِي ما رُمْتَ قـدْ شَرَعَـا
إنْ مَتُّ منْ أجْلِهِ رُوحِـي سَـتَلزَمَهُمْ ... في شرْعِ مَنْ قدْ غَدَا للشَّرْع قد شرَعَـا
بَانَ الذينَ بَنَـوْا في القلْـبِ مَسْـكَنَهُمْ ... وخَلَّفُوا الشَّجْوَ والأشْجَانَ والوَجَعَا
فالعيْنُ، من كمَدٍ، تبْكِي، ومن أسَفٍ ... والقلـبُ، مـن وَلَـهٍ، كأنَّـهُ نُزِعَـا
وكنـتُ في وَلَـعٍ، والحُـبُّ تيَّمَنِـي ... والبَيْنُ-يـا ويلتـي- قـد زادَنِي وَلَعَـا
ولامـتِ النـاسُ في حُـزْنِيَ إثْـرهمُ ... والحُزْنُ للقلْبِ، يا للنَّاسِ، قد صرَعَا
ليْتَ العَذُولَ الذي- في الشجْو- أنَّبَنِي ... بما فُجِعْـتُ بـه-مِـنْ بَيْـنِهِمْ- فُجِعَـا
قدْ كـانَ يُضْـحِكُنِي دهْـرِي بقـرْبِهِمُ ... واليوْمَ أبْدَلَنِي، من ضحْكِيَ، الجَزَعَا
والفَصْلُ، بعْدَ لذيذِ الوصْلِ، أجْهَدَنِي ... والقُرْبُ بالغرْب مَبْذُولٌ؛ فقـدْ مُنِعَـا
وكثْرةُ المَـرْءِ- فِي الأقْـوى- بإخْوَتِـه ... والقل- منْ نحْوِهِمْ- بِي الآنَ- قد وقعا

- عينية من الطويل

إذا جئتُ وحْدي البيْـتَ، أوْ جئـتُ فِي جَمْـــــــ

8- حرف الفاء

- فائية من الكامل

قـل- للـذي منـع العيـون منامهـا ... والقلـبُ ذو شَـغَفٍ بـه: مـا أنْصَـفا
والله، إنِّي إنْ أراهُ، أو آتِـــــــهِ ... لَكَمِثْـلِ ذِي ظَمَـأٍ، رأى مـاءً، صَـفَا

9- حرف اللام

- لامية من البسيط

بانُوا بقلْبِيَ، مُذْ بـانُوا، ومَـا انْتَبَهُـوا ... والقَلْبُ-بيْـنَهمُ- تخْـدِي بـهِ الإبِـلُ
كصاعِ يُوسَف، في الركْبان، ما عَلِمُوا ... وفي رِحالهمُ -بالصـاعِ- قـدْ رَحَلُـوا
جِسْـمًا بقِيـتُ، بـلا رُوح، بُعَيْـدَكُمُ ... والجسْمُ- نحْو مَقَرِّ القلْـبِ-مُنْتَقَـلُ
يـوْم ارْتِحَـالِهِمُ، مـا قـد أصـبتُ بـه ... حُمِّلْتُـهُ، حِمْلُـه يعْيـا بـه الجَمَـلُ
الله يعلـــمُ أني صرتُ في وَلَـــهٍ ... من بعْدكمْ، واعْتراني الهمُّ، والوَجَـلُ
فـإنْ نطقـتُ حَـدِيثِي يَنْقَـضِي بكـمُ ... وإنْ صَـمَتُّ ففيـهِ انـتمُ الشُّـغُلُ
لا تحسبي النأْيَ يا "اخْوَيْدِيجَ" غَيَّرَنَا ... إنْ غَيَّرَ النَّأْيُ قوْمًـا بـالهَوَى جَهِلُـوا
رعْيُ المَرابِـع، مـن بَعْـد الرَّوَابِـعِ، ذا ... دليلُ صِدْقِ وِدَادِي، لـوْ هُـمُ عَقَلُـوا
إن دامَ هجـرهمُ ظُلْـمًا، ونَـأيُهمُ ... عـلى محبـتهمْ، فـادَوْهُ، أو عقَلـوا
ولستُ آملُ ألْقَى- بعْـدهمْ- أحَـدًا ... بـل التَّسَـلِّي بلُقْيـاهمْ، هـو الأمـلُ
إنْ يَصْرمُوا حَبْلَ وُدِّي لستُ أصْرمُه ... اللهَ نَاشـدْتكمْ، فلْتَرْحَمُـوا، وصِـلُوا
وإن صَرَمْتُمْ، فإنِّي- الدَّهْرَ- ذو تَرَحٍ ... وإن وصـلتمْ؛ فـإنِّي ضـاحكٌ جَـذِلُ

- لامية من الوافر

أضرُّ الـــشَّيْءِ بالقلْـــبِ العَلِيـــلِ ... هَـــدِيلُ الـــوُرْقِ تَهْتِـــفُ بالهَـــدِيلِ
كـــذاكَ إذَا يَئِـــلُّ الـــبَرْقُ وَهْنـــا ... فوَيْـــلٌ للعَلِيـــلِ مـــنَ الأليـــلِ

سـألْتُ مُعَـذِّبِي بـالهجْرِ ظُلْـمًا ... بـما سَـأَلَ الكَلِـيمُ مِـنَ الجَلِيـلِ
دَلِيلُـكَ مُـدَّعَى، فـأقِمْ دَلِـيلًا ... فَـمَا يُغْنِـي الـدَّلِيلُ عـنْ الـذَّلِيلِ
فقَـالَ: بـأنَّ حُبِّـيَّ ادّعَـاءٌ ... ومَـالِي فِي المَحَبَّـةِ مِـنْ سَـبِيلِ
شُـهُودُ الحُـبِّ لِي: سَـقَمٌ، وَسـهْدٌ ... ودمْـعٌ، بالعَويـلِ، مـعَ الزّويـلِ
عدلْتَ عن العُـدُولِ، وهـمْ عُـدُولٌ ... فـمَا هَـذَا العُـدُولُ عَـنِ العُـدُولِ؟
فجُـدْ لِي بـالنَّوالِ، ولَـوْ قَلـيلا ... ففِـي بَـذْلِ القَلِيـلِ شِـفَا الغَلِيـلِ

- لامية من الوافر

أَلَا هَـلْ للمُتَـيَّمِ مِـنْ وِصَـالِ ... يُكَفِّـرُ ذَنْـبَ أَيَّـامِ الفِصَـالِ؟
أَلَا هـلْ مَـنْ يَـرِقُّ لـذِي سَـقَامٍ ... لحَـرِّ الشَّـوْقِ والتَّهْيَـامِ صَـالِ؟
يَبِيـتُ مُؤَرَّقًـا، ويَحِـنُّ دَأْبًـا ... حَنِـينَ النِّيـبِ ثَاكِلَـةَ الفِصَـالِ
تُشَـوِّقُهُ الرِّيـاحُ إذا تغنَّـتْ ... وتُبْكِيـهِ الطُّلُـولُ عَفَـتْ بَـوَالِي
ويُعْجِبُـه النَّسـيمُ يَمُـرُّ مَـرًّا ... وتُوحِشُـه الـبُرُوقُ عَـلَى القِـلَالِ
ويُبْكِيـهِ الـتَّرَنُّمُ وهْـوَ مُغْـرًى ... بقَعْقَعَـةِ الحِجَـالِ مِـنَ الخِـدَالِ
ولسـتُ أصُـدُّ إنْ أحْبَبْـتُ حِبًّـا ... ولَّـا يَنْهَنِـي شَـيْبُ القَـذَالِ
غـدَوْتُ مُتَـيِّمًا وبَقيـتُ نِضْـوًا ... بِحِـبٍّ بـالمُتَيَّمِ لا يُبَـالِي
يُحَـاذِرُ يقْظَـةً مِـن أنْ أرَاهُ ... ونوْمًـا أنْ أرَى طَيْـفَ الخَيَـالِ
أرِيـدُ الوصْـلَ منْـه، وعـن فِـراقٍ ... يُـرَى لم يـالُ، وا أسَـفِي، ويـالِي

- لامية من البسيط

أغْـبَرَّ، واحْمَـرَّ هـذا الجَـوُّ واتَّقَـدَتْ ... فيه السَّمُومُ، وحـاقَ الجـدْبُ بالمـالِ
وقـد دعوْتُـكَ، رَبِّي، فاسْـقِ ماشـيةً ... هِيمًا.. عِجَافًا، تَشَكَّى القَحْطَ بالحالِ
غَيْثًـا هَنيئًـا مَرِيئًـا.. مُمْرِعًـا، غـدقا ... يَـأتِي بِـيُمْنٍ عَظـيم السَّـحِّ، هَطَّـالِ
مِنْوَالُكَ الجُودُ، فاصْفدْ عَالَـةً ضُـعَفا ... والحِرْصُ، والعَجْزُ، والتَّقْصِيرُ مِنْوالِي

أنْتَ المَلَاذُ إذا ما الخَطْبُ ضايَقَنا ... ما إنْ لنا أبَدًا، إلَّاكَ، مِنْ وَالِي

- لامية من الكامل

إنَّ الذي مَلَأَ الفُؤادَ بِحُبِّهِ ... ماتَ الهَوَى مِنْ غيْرِهِ وبَلَى بِلَى
وهواهُ يبْعثُ لي الهُمومَ جَحافِلا ... فتَّانَةً ووَساوِسًا وبَلَابِلَا
هو عُدَّتي، في شِدَّتِي، هو عُمْدَتِي ... وذَخِيرَتِي، إنْ ألْقَ خطْبًا نازِلا
للَجَاجَتِي، ولحاجَتِي، ولفَاقَتِي ... ولنصْرَتِي، أمَّلْتُ بدْرًا كامِلا
ونَوَائِبِي، وَمَآرِبِي، أرْجُو لها الـ ... ـبَحْرَ الخِضَمَّ الزَّمْزَمِيَّ البَاذِلا
هو العِمَادُ، إذا البلادُ تَسَعّرَتْ ... نارًا تُشَبُّ بِأهْلِها وزلازلا
وبمُرْدِهِ، وبجُرْدِهِ، وبجُنْدِهِ ... أفْنَى الأعَادِي ناهبًا، أو قاتِلا
ونفاهمُ مِنْ أرْضهمْ بجَحافِلٍ ... وصَواهِلٍ، وقَنًى له وقَنَابلا
إنْ سائلًا قَدْ رَدَّهُ ذُو ثَرْوَةٍ ... فمُحَمَّدٌ ما رَدَّ وقْتًا سائلا
أو قال: "لا"، حتَّى تَمَعَّرَ وَجْهُهُ ... فمُحَمَّدٌ لمْ يَفْتَتِحْ- كلّا- بِـ "لا"
من كانْ صاحبَ نائلٍ في بَلْدَةٍ ... فمُحَمَّدٌ قد كانَ أكثرَ نائلا
يا مجديا مستجديا يا سيدا ... بَذّ الأنامَ أواخرا وأوائلا
أمُحَمَّدٌ، عنْد الحُضُورِ لتحضرَنْ ... والمَوقف الضنْك المَخُوف الهائلا
أمُحَمَّدٌ، عنْد المَماتِ لتَحْمِنِي ... أخْراي، يا مولايَ عفْوا شاملا
ومنَ السلامِ لأحْمَدٍ أسْنَى سَلَا ... مٍ، راقَ، فِي حُلَلِ المَبَرَّةِ رافِلا
وتحيةٍ، عطْرِيةٍ، فاقتْ بَهَا ... شمسٍ، وبدْرٍ، صاحِيَّيْنِ، تَقابَلا

- لامية من الطويل

ألا مَنْ لِصَبٍّ، هَائمِ القَلْبِ، ملَّهُ ... أحِبَّاؤُه، يا لَيْتَ شِعْرِيَّ مَنْ لَهُ
جفَاهُ، بلا ذنْبٍ، حبيبٌ يَوَدُّهُ ... وأنْهَلَهُ صرْفَ الغَرَامِ، وعَلَّهُ

عسَاهُ علَى ما كانَ منْهُ يَرِقَّ لِي ... ويَرْحَمُ تَهْيَامِي، عَسَاهُ، وعَلَّهُ
وأبْدَى دَلَالًا دَلَّهُ وهْوَ قَاتِلِي ... مُذَ اظْهَرَ لِي ذاكَ الدّلَالَ وَدَلَّه
وَهَجْرٌ، وزَجْرٌ، عنْ مَواطِنِ قُرْبِهِ ... ومَنْ قَلْبِيَ القاسِي عَلَى ذاكَ دَلَّهُ
هَوًى، وجَوًى، عَيْنَايَ تَذْرِفُ مِنْهُمَا ... ووبْلُ غرامٍ، لا يَزَالُ، وَطَلَّهُ
فمَنْ مُنْصِفِي مِن جائرٍ، وهْوَ بُغْيَتِي ... أراقَ دَمِي، بَغْيًا عَلَيَّ، وَطَلَّهُ؟

- لامية من الطويل

نهارُك- يا مغْرورُ- سَهْوٌ، وغفْلَةٌ ... وليْلُكَ نوْم، والدَّدَا[1] بكَ نَازِلُ
يَغُرُّكَ مَا يَفْنَى، وتفرحُ بالمُنَى ... وكمْ سُرَّ باللَّذَاتِ فِي النوْم غافلُ!

10- حرف الميم

- ميمية من الطويل

ألا لا تَرِمْ، يا قلْبُ، في الحُبِّ، "سَلَّمَا ... رَسَا فِيكَ، كُنْ مِمَّنْ لِذِي المُلْكِ سَلَّمَا
ولو مَنَّ مَنْ تَهْوَى بوصْلَةِ سَاعة ... لأنْصَفَ، أو مِنْ سِحْرِ عَيْنَيْهِ سَلَّمَا
وماذا عليْهِ لوْ أجَابَ تَحِيَّتِي ... ويَكْفِيهِ أنْ لوْ كانَ، بالطَّرْفِ، سَلَّمَا

- ميمية من البسيط

عبْدٌ عَلَا الشيْبُ فَوْدَيْهِ وما كتمَهْ ... لو كانَ يُمْكِنُهُ كتْمانُهُ كتَمَهْ
بلْ لا بَقَاءَ لليْلٍ كانَ حَادِيَه ... صبْحٌ مُنيرٌ عليْهِ ناشرٌ عَلَمَهْ
لَمَّا رأى البِيضُ بِيضًا في مَفارِقِهِ ... أبَيْنَ تَكْلِيمَهُ والسُّقْمُ قدْ كَلَمَهْ

[1]- **الدد:** اللعب واللهو.

قد كانَ يأبَى- كَلامَا- دلَّ كُـلِّ رَشـا ... وَاليَـوْم تمْنعُـه الأرْشـا وَلَـوْ كَلِمَـهْ
فقـالَ، مُنتَحِبًـا: خُنْـتُنَّ؟ قُلْـنَ: أمَـا ... تَرَى ابْنَ دَايَـةَ عَزَّتْـهُ الأَنُـوقُ؟ فَمَـهْ
وكُنَّ، إنْ زارَ، أو إنْ رِيءَ، مِـنْ بُعُـدٍ ... يُعْوِلْنَ، مِنْ شَغَفٍ، يُعْلِنَّ: وَا سَـقَمَهْ
البِيضُ يُنْكِرْنَ مَا قد كان مِنْكَ، فخُضْ ... بَحْرَ السُّـلُوِّ، وَذَرْ مـا كُنْـتَ مُغْتَنِمَـهْ
وابْكِ الشبابَ، ووصْلُ البِيضِ مَأْتَمُهُ ... أقِمْهُ - وَيْكَ- وَخَلِّ العَيْنَ مُنْسَجِمَهْ
بل بالبكاءِ أحَـقُّ الـذنْب، فابْـكِ لـهُ ... وعَدِّ عـمَّا مـضَى، لا ترْتكِـبْ زِيَمَـهْ
نُـحْ نـوْحَ أمٍّ وَحِيـدٍ إذْ تصـابُ بـه ... ودَمْعكَ، الدَّهْرَ، منه اسْتَمْطِرَنْ دِيَمَهْ
فـالعمْرُ ولَّى، وليْـلُ الجهْـلِ غيْهَبُـه ... عاضَ البَصيرَةَ مـن أنْوارِهـا ظُلَمَـهْ
أضعتَ عمْـركَ، في غَـيٍّ، وفي سَـفَهٍ ... مَنْ ضَيَّعَ العُمْرَ فِي البُطْلَانِ قد ظَلَمَهْ
آنَ ارْعِواؤكَ، إذْ حانَ ارْتِحالُكَ، عـنْ ... دُنْياكَ، حالُكَ مَنْ سَـوَّاكَ قـد عَلِمَـهْ
فمَنْ لعاصٍ على العصْـيانِ مُعتكـفٍ ... وأسُّ رُكْنِ التُّقَى، بالذَّنْبِ، قدْ هَدَمَهْ
ضارٍ، بمَا ضَرَّ، مِنْ نوْمٍ، ومـنْ كسَـلٍ ... مُغْـرًى بـما غَـرَّ، ممَّـا يقْتـضِي نَدَمَـهْ
إلا الذِي كُـلُّ ذِي عُدْمٍ، وذِي سَـعَةٍ ... مِنْ كُلِّ خلْقٍ غَـدَا مُسْـتَجْدِيًا كَرَمَـهْ
والكُّـل يَسْـبَحُ فِـي تَيَّـارِ أنْعُمِـهِ ... ولنْ يُرَى مُجْتَدٍ، فِي الدَّهْرِ، قدْ حَرَمَـهْ
والعَدلُ، والفَضْلُ، مِثْل البَذْلِ، فِيهِ مَعًا ... والنُّبْلُ، والنَّبْلُ، إنْ خَوْفٌ دَهَا دَهَمَـهْ
والحرْز، للنَّزْرِ، مِنْ فَضْـلِ ابْنِ آمِـنَةٍ ... أعْيَا الوَرَى كُلَّهُمْ، واسْتَيْقَنُوا عَدَمَـهْ
يا ربِّ، عبْدٌ، جَنَا، بالمُصْـطفى عَلِـقٌ ... فـاغْفِرْ كبَـائرَهُ، واغْفِـرْ لـه لَمَـهْ

- ميمية من الطويل

وظبْيٍ، كحِيلِ الطرْفِ، والحُسْنُ عَمَّهُ ... أبـانَ وِصـالي مـذ دَعـانِيَّ: عَمَّـهُ
فـزادَ غرامـي فيـه أنْ زادَ في الجفـا ... وقلبِي - بطول الهَجْر- ضاعفَ غمَّه
وَخـبَّرَنِي: ألَّا سَـبيلَ إلى الِّلقـا ... فَلَـمَّا وعَـى سَـمْعِي المَقـالَ أصـمَّهُ
فبـتُّ بشـوْقٍ، لـوْ يُصَـبُّ قَلِيلُـهُ ... علَى الصخَر الصيْخُودِ، صدَّعَ صُـمَّهُ

فقلتُ: عَلاَمَ الهجْرُ يـا غايـةَ المُنَـى؟ فقـالَ: حـديثٌ بيْننـا الشـيْبُ نَمَّـهُ
فباتَ الأسَـى فِي القلْـب يُوقِـدُ نـارَه وبَاتَ الهَـوى العُـذْريُّ ينفـثُ سُـمَّهُ
فـذُمَّ ديـارا، بعْـدَ دارِ اجْتِمَاعِنـا وعيْشًا لنـا، مـن بعْـدِ تَيْلِـكَ[1]، ذمَّـهُ
وإنْ أسْعدتْ سُعْدى، وسُعْداكَ قدْ قَلَتْ فبَحْر النَّدَى، نُور الهُدَى، البَدْر، أُمَّـهُ
رؤوفٌ بمَـنْ وَالَاهُ، قـد فـاقَ رأفَـةً أبَـاهُ الـذي ربَّـاه طفْـلا، وأمَّـهُ
وذا عبْـدُ سـوءٍ، أَوْبَقَتْـهُ ذُنُوبُـه عَلَى شَعَثٍ، قـدْ جَـاءَ، يَـا بَـدْرُ، لَمَّـهُ
ففِي هذه الأولَى، وأخْـراهُ، ضـيْفُكمْ وضـيْفُكمُ، حقًّـا، إذَا القَـبْرُ ضَـمَّهُ

11- حرف النون

- نونية من الطويل

يَعُـودُ السـلامُ الحافِـلُ الأسْـنَى إلى سَـيِّدي: "سِـيدِيَّ" والـدي
ثِمَالِ اليَتَامَى، بهْجَـةِ العَصْـرِ، نُـورِهِ الأحْنـــــــــــــــــــــى
وشـافِي مُرِيـدٍ مِـنْ مَرِيـدٍ بنظْـرةِ وطَلَّاعِ تَـلِّ المَجْـدِ، وهْـوَ لـه مَغْنَـى
مُزيلِ عَمَايَاتٍ منَ الجَهْلِ، قد طغَـتْ ومَرْمَى عِصِيِّ الوفْدِ الأقْصى، أوِ الأدْنى
فمُوجِبُه افهم واسمع القول والمعنى وفرَّاجُ أزْمَاتٍ، إذَا القوْمُ قـد أسْـنَى
بـأنِّيَ لمْ أرْدُدْ لِنَفْسِـيَ عـنْ هَـوًى وإنْ كُنْتَ- عنْه فِي الغِنَى- تَعْلَمُ المَعْنَى
وأنْتُمْ- إذا تاقـتْ- ترُومُـونَ رَدَّهَـا ولمْ- سَيِّدِي- يَرْدُدِ هَا ربُّها الأغْنـى

---

[1]- بمعنى "تلك".

[2]- لقد استحضر هنا قصة رجل من تميم كان أسيرا عند قوم، فسمعهم يتحدثون عن عزمهم على غزو قومه، فطلب منهم السماح له بإرسال رسالة إلى أهله، فاشترطوا لذلك أن يسمعوا الرسالة، حتى يتأكدوا من خلو محتواها من أي إنذار، فكان من ضمن وصاياه لهم:
"... وأن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها ويركبوا جملي الأصهب... فلما وقفوا على الكلام.. قالوا جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جملا" .... ثم دعوا أحد حكمائهم "فلما قصوا عليه

فَفُـزْتَ، ولمْ أقْصُـدْ بـذاكَ تقاطُعـا ... وفيما رضِيتُمْ- سَيِّدِي- جَهْدُنا الأسْنى
عليكَ- أيَا مَنْ قدْ نجَا بكَ مَـنْ نجـا ... ويا مَنْ به- بـيْنَ المَعَـاشِرِ- قـدْ فُزْنَـا
سـلامٌ - مَـذاقًا- فـاقَ سـاكِنَةً دِنَّـا ... أيَا مَنْ لهُ- فِي حَلِّ مَا قـدْ قَسَـا- دِنَّـا

- نونية من الطويل

ثَوَيْـتَ بـأرضٍ لا نجـاةَ، ولا أمْنـا ... لثاوٍ بها، والرَّكْبُ -وَيْحَكَ- قد أمْنَى
وطـافَ، ولبَّـى، واسْـتتمَّ شُرُوطَـهُ ... ونحْنُ أسارَى الشوْقِ، بالبيْتِ، قد هِمْنَا
سكارَى، بلا صَحْوٍ، مِنَ الشوْقِ، لم نكُنْ ... أفَقْنَـا، وأهْـلَ الحُـبِّ قاطبـةً فُقْنَـا
وسُـقْنَا نُفوسًـا طالَمَـا شَـفَّهَا الهـوى ... إليْـكَ، ألَا فاقْبَـلْ نُفُوسًـا لهـا سُـقْنَا
وَصُـغْنَا قَريضًـا، كالفَريـدِ مُـنَظَّمًا ... أبا القاسمِ الفيَّاضِ أَصغِ لِمَا صُـغْنَا
هوى المُصْطفى ما إنْ وَجَدْنَا كمِثْلِـهِ ... وكُلَّ مَـرَارَاتِ الهَـوَى المُـرِّ قـد ذُقْنَـا
فيا أيُّهـا السـاعِي، إذا جِئْـتَ أرْضَـهُ ... فمَـرِّغْ بهَـا خَـدًّا، ومَـرِّغْ بِهَـا ذِقْنَـا

- نونية من الوافر

أثـارتْ لِي الشَّـجُونَ، بكُـلِّ فَـنٍّ ... مُطَوَّقَـةٌ عَـلَى فَـنَنٍ تُغَنِّـي
بكتْ، فبكيتُ حينَ بكـتْ، وأذْرَتْ ... مـدامعَ مُقْلَتَـيَّ، بـلا تَـأنِّ
سـيَظهرُ مَحْـضُ تِـبْرٍ مـنْ نُحـاسٍ ... إذَا مَـا التِّـبْرُ سُـنَّ عَـلَى مِسَـنِّ
سَلِي -مَـيُّ- السّـنِينَ الغُـبْرَ عنِّـي ... لـدَى عَـضِّ السِّـنِينَ بِكُـلِّ سِـنِّ
سَلِي الأمْـوالَ تُفْصِـح -وَيْـكِ- أنِّي ... أهنْـتُ خِيَارَهـا، مَـا إنْ تُهِنِّـي
سَـلِي الأشْـعارَ، والسُّـمَّارَ وهْنـا ... سَلِي "تَنْدَيْنَ"- مَيُّ- سَلِي "تَـدَنِّ"
سَـلِي يُخْـبِرْكِ عَنِّـي الكُـلُّ كُـلًّا ... بـذاكَ، وغـيْرَ ذاكَ فـلَا تَظُنِّـي
فـثَمَّ البُـدْنُ تشْـهَدُ لِي، وضـيْفِي ... ويَشْـهَدُ لِي العَـبَنُّ، مَـعَ الهَـبَنِّ

القول قال= = أنذركم... والناقة الحمراء الدهناء، والجمل الأصهب الصعمان، يقول اعدلوا عن السهل إلى الجبل..." انظر: داود بن عمر الأنطاكي: **تزيين الأسواق في أخبار العشاق**، ص 191.

- نونية من الوافر

أَضَعْتَ مَجَالِسِي، مُذْ غِبتَ عَنِّي ... تُعَانِي- فِي القَرَاءَةِ- مَا تُعَانِي
عليْهَا صرْتَ مُعْتَكِفًا، فطُوْرا ... على النَّوَوِيِّ، ثُمَّ القسْطَلَانِي
.... ورَنَّاتِ المَثالِثِ، والمَثَانِي
على حسْو الكُؤوس، أقمتُ دَهْري ... وشَدْوِ "ابْرَيْكَه"، معْ ذاتِ الدُّخَان

- نونية من البسيط

شوْقِي لَمَنْ شوْقُه قد كاد يُرْدِينِي ... دِينِي وَهُوَّ عَلَى طُولِ المَدَى دِينِي
إنْ قُمْتُ قَامَ هَوَاهُ فِي مُساعَدَتِي ... أوْ نِمْتُ أيْقَظَنِي جهْرًا يُنَادِينِي
قلبي ميادينُ فِكْرِي فيه ضَلَّ بها ... واهًا لضَلَّةِ قلْبِي في الميادينِ
يا ليْت شعْري مَنْ بالهجْر عذَّبَني ... دَأْبًا يُرَاوِحُنِي مِنْه يُغاديني
إنْ غِبْتُ عنْ ذِكْرِهِ.. هلْ هُوَ يَذْكُرُنِي ... أوْ متُّ- فِي حُبِّه- هلْ هُو وَادِيني؟

- نونية من الطويل

أَبَانِيَّ قَصْرِ البَرْكَ(ه)، شَيِّدْهُ وابْنِهِ ... وبلِّغْ تحايانا إلى القصْر وابْنِه
فذا العالمُ العلْويُّ راضٍ بِناءَهُ ... وذا العالمُ السُّفْلِيُّ جَنَّةُ عَدْنِه
فَحَيَّاهُ موْلاهُ السلامَ بصوْنِه ... وحيَّاهُ منْ صوْب الحَيا وكُفُ مُزْنِه

- نونية من الطويل

ألا مَنْ لعبْدٍ في الهوى وقرُونِهِ ... بدَا الفجْر قُسْرا من ليالي قُرونِهِ؟
فلَيْس له إلا الإلهُ، وعَفْوُهُ ... وخَلْعُ رِدَاءيْ لَهْوِهِ، وَمُجُونِهِ
ويَعْبُدُهُ حَقَّ العِبادة مُخْلِصا ... يُراقبُ- في الآناءِ- وقْعَ مَنُونِهِ
جُنونُ الشبابِ الغضِّ- في الشيْب- ... وما بَعْدَ شيْبِ المَرْءِ بُرْءُ جُنونِهِ
سُبَّةٌ ... وَتذْكَارَ لَذْعَاتِ الهوى وَفُنونِهِ

ودَعْ ذِكْرَ مِيمِ المَبْسَمِ العذْبِ، ذِي اللَّمَى ... وَحَاجِبِ مَنْ تهْوَى، وَتقْويسِ نُونِهِ
وخَلِّ سَبيلَ الأحْورِ الرَّشَأِ الذي ... إذا لمْ يكنْ بدْرًا فليس بِدُونِهِ
ولا تُرْسِلَنْ طَرْفًا إليْهِ فإنَّه ... يُحَاكِي شعاعُ الشمسِ ضُوْءَ جَبينِهِ
إذا لمْ تَغضَّ الطرْفَ عنه وتَتَّقِي ... حبائلَهُ أصبحتَ طوْعَ يَمِينِهِ
وحسْبُ امْرئٍ يرْجو النَّجَاةَ وسُبْلَها ... إذا كان ذا عقْلٍ يَفِرّ بِدِينِهِ
فيا رَبِّ، عبْدٌ تسْتَهِلُّ شُؤونُهُ ... على حوبةَ، أصْلِحْ له مِنْ شُؤونِهِ
تراهُ على ما كانَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ ... يَخَافُ ويرْجو منْكَ حُسْنَ ظُنُونِهِ

- نونية من الوافر

ألا عَوْدًا، لُيَيْلَاتِ التدَاني ... فها أَنَا ذا سَمِيري: الفَرْقَدَانِ
فعَيْشِي، بَعْدَكُنَّ، على اكْتئابٍ ... وشَوْقِيكُنَّ- من وَلَهٍ- بَرَاني
ليالي البِيض تُزْهُرِ مُقْمِرَات ... وزِيرِي طيِّبِ الأرْدَانِ دَانِ
ليالي الوصْلِ رانيةٌ إلَيْنا ... ومَنْ أهْوَى منَ الأقْرَانِ رانِ
بَكيْتُ، ومَنْ هَوَيْتُ، على جَفَائِي ... عَزومًا، لا أرَاهُ، ولا يَراني
عَلَى حُبِّيهِ- مَظْلَمَةً- قَلَانِي ... ودَهْرِي، ما جَفَوْتُ، وقدْ جَفَاني
فأذْرَيْتُ الدموعَ، ونُحْتُ، حتَّى ... غَدَا دَمْعِي-من الأجْفَانِ- فاني
تَلَاهُ دَمُ العُيونِ، كأُرْجُوَانٍ ... له الأخْدُودُ، بالأذْقانِ قانِي
ألا يا حِبُّ، إنَّ القلْبَ صالٍ ... حَمِيمَ الشَّوْقِ في ذا الآنِ آنِ
فأذْعَنَ للغَرامِ على خُشوعٍ ... تَعَدَّى رُتْبَةَ الإذْعَانِ عَانِ
وما شَوْقِي لذاتِ الخالِ: ليْلَى ... ولا لُبْنَى ومَيّة الاثْنَتَانِ
ولا دعْدا هويتُ، ولا سُعادا ... ولا مَيْلَاء، تَرْفلُ، في ازْدِيانِ
ولَا شَوْقِي لكاظِمةٍ وسَلْعٍ ... ورامَة والعُذيْب الأبْلقان
ولا بالبيضِ كانَ لِيَ ادِّكارٌ ... ولا أنا بالمَغاني الزُّهْر غان

ولا أبْكـي عـلى طلـلٍ، ومَغْنـى ... ومـالي بـالطلولِ، وبالمَغـاني؟
ولا حُـبُّ الرُّبُـوع وسـاكنِيها ... ولكـنْ حُـبَّ أحْمَـدَ قـدْ سَـبَانِي
رشـيقِ القـدِّ، أبْلـجَ، ذِي شَـطاطٍ ... يَـدِينُ لـهُ قضـيبُ الخيْـزُرانِ
ويُعْشِـي النـاظرينَ بنُـورِ وجْـهٍ ... إنَ اسْـفَرَ، مـا سُـفُورُ الزِّبْرِقَـانِ؟
لـه عَـرَقٌ كـدُرٌّ إنْ عَـلَاهُ ... عَـلَا نَظْـمَ الجُـمَانِ عـلى الغَـوَانِي
وفـاقَ المِسْـكَ، الأذْفَـرَ، والغَـوَالِي ... كـمَا عـنْ ذاكَ أخْـبَرَت أمُّ هَـانِي
ويُعْطِـي الإبْـلَ هنْـداتٍ وعَكْـرًا ... وأصْـنَافَ الـدَّرَاهِمِ، والدَّنَانِيـ
أذاقَ الخَلْـقَ إيمانًـا لذيـذا ... يفُـوقُ حَـلَاوَةً خمْـرَ الـدِّنَانِ
إذا مـا افْـتَرَّ يَضْـحَكُ في وَقـارٍ ... عـن أسْـنَانٍ أحَـدَّ مـنَ السِّـنَانِ
تـرَى حَـبَّ الغَـمَامِ، وبـرْقَ دجْـنٍ ... عَـلَى ألْمَـى اللِّثَـاتِ، وأُقْحَـوَانِ
وإنْ حَمِـيَ الـوَطِيسُ يكـونُ رِدْءًا ... عـن الأقْـرَانِ، في الحَـرْبِ العَـوَانِ
ولَّـا أنْ خُطُـوبِي قـدْ دهَتْنِـي ... وخـوْفِي- مـن ذُنُـوبِي- قـدْ دَهَـانِي
فزعْـتُ إلى الكـريم، القـرْمِ، غـوْثي ... إذا مَـا الخـوْفُ أفْزَعَنِـي أمَـانِي
وسـوْفَ بجاهِـهِ تُمْحَـى ذُنُـوبي ... وأُكْفَـى مَكْـرَ ذِي حَسَـدٍ، وشَـانِي
وأكْفَـى شرَّ ذي عِظَـمٍ، وجَـاهٍ ... كـذا مَكْـرَ الجَلَنْـدَدِ[1]، والـدَّدَانِ[2]
فحُـزْنِي- مِـنْ ذُنُـوبِي- في ازْدِيَـادٍ ... ومِـنْ كِـبَرٍ، ومـنْ شـيْبٍ عَـلَانِي
أغْثْنِـي، يـا ابْـن آمِنَـةٍ؛ فـإنِّي ... أرى كِـبَرِي، وشَـيْبِي ناعيَـاني
وإنْ لَمْ -بالعِيَـانِ- أزُرْكَ، جهْـرا ... فتكْفِينـي الزيـارةُ بالمَعَـانِي
معَـانٍ، لـو يُعايِنُهـا لبِيـبٌ ... تَحَـيَّرَ، وهْـي تُغْنِـي مَـن يُعَـانِي
مـدحْتُ الزمْزَمِـيَّ بقـدْر وُسْـعِي ... ومـا يُجْـدِي المَـديحُ، مَـدَى الزمـانِ

---

[1]- **رَجُلٌ جَلَنْدَدٌ:** أَي فاجِرٌ يَتَّبع الفُجور.

[2]- **سَيْفٌ دَدَانٌ:** أي كَهَامٌ. **وقيل:** قاطِعٌ. وهو من الأَضْدَادِ.

فمَـدْحُ مَـنِ الإلـهُ عَليْـهِ أثْنَـى سُـكُوتِي، والمَـدِيحُ لَـهُ، سِـيَانِ[1]
وكـمْ، ببـديعٍ، اعْيـا مـن مُجِيـدٍ وأعْيَـا بالكِتَابَـةِ مـن بَنَـانِ!
وأعْيَـا واصِـفِيهِ الوصْـفُ، قـبْلِي فعْـذْرًا، لـيْسَ يُدْرِكُـهُ لِسَـانِي
وحسْـبِي بـالنَّبِيِّ، لكـلِّ هـوْلٍ مـن الأهْـوال، موْقِعُـه شـجاني

12- حرف الواو

- واوية من الطويل

وَلِي أُذُنٌ صَمَّا، عَنِ العَذْلِ، في الهَـوَى إذا سَمِعَتْ عَذْلًا، فلا سَمِعَتْ نَجْوَى
وعَيْنَانِ عَمْيَاوَانِ، عَنْ نَظَـرِ السِّـوَى وإنْ كانَ قدْ شَطَّ المَزارُ بِمَـنْ أهْـوَى
إذا هيْمَنَ الرَّعْـدُ الحِجَـازِيُّ شَـاقَنِي أو البَرْقُ نَجْدِيًّا، فـأغْرَى بِيَ الأهْـوَا

13- حرف الهاء

- هائية من الوافر

أغِيثـوا، مَـنْ لكـمْ عِـزٌّ وجَـاهُ قـريحَ القلْـب، شـوْقكمُ وَجَـاهُ
تُقلِّبُـه الهُمُـومُ حَلِيـفَ شَـوْقٍ يُصَـيِّرُهُ كمَسْـلوبٍ نَجَـاهُ
سَـألْتُ وِصـالَكمْ ربًّـا رحِـيمًا كـريمًا، لا يَخيـبُ مَـنْ رَجَـاهُ[2]

- هائية من الوافر

بَـدَا النُّـورُ المُهَـيْمِنُ خـيْرَ فجْـر أنـارَ الكـوْنَ أجْمَعَـهُ بُـدُوَّهْ
فـأبْرَزَهُ المُهَـيْمِنُ بَـدْرَ تـمٍّ وأعْـلَى ذِكْـرَهُ حقًّـا دُنُـوَّهْ
فـلا أحـدٌ مـنَ الثَّقَلَـيْنِ طُـرًّا مـنَ اللهِ العظـيمِ دَنَـا دُنُـوَّهْ

[1]- **سيَّان**: حقها تشديد الياء، لأنه تثنية سِيّ، وقد خففت هنا ربما لضرورة الوزن.
[2]- مسودة الجزء الخاص بكنته من كتاب: **الأخبار** "المدون" لهارون بن الشيخ سيدي، ص 105.

ولا أحَـــدٌ مِـــنَ الثَّقَلَـــيْنِ طُـــرًّا يُخَبِّرُنَـــا بمَـــنْ يسْـــمُو سُـــمُوَّهِ
ولا أحَـــدٌ مـــنَ الثَّقلـــيْنِ طُـــرًّا عـــلى الضُّـــعَفَاءِ قـــد يَحْنُـــو حُنُـــوَّهْ
ولا أحـــدٌ لـــه في الخَلْـــقِ طُـــرًّا يُشَـــاكِهُ، أوْ يُبَـــارِي، في الفُتُـــوَّهْ
إذا الصـــنْديدُ قـــد أبْـــدَى عُتُـــوًّا يُقارِعُـــه، فيسْـــلبُهُ عُتُـــوَّهْ
فيَغْـــدُو في الجِهَـــادِ، ولا كَمِـــيٌّ يُجاهِـــدُ جَهْـــدَهُ، يَغْـــدُو غُـــدُوَّهْ
ولَّـــا الخَلْـــقُ هَـــوَّمَ فِي مَنَـــامٍ وَأَيْقَـــنَ أحْمَـــدٌ منْـــهُ هُـــدُوَّهْ
فحَيَّـــاهُ الأمِـــينُ، عـــلَى بُـــرَاقٍ وأرْكَبُـــهُ، وخَـــلَّاهُ، وَجَـــوَّهْ
فشُـــرِّفَ بالكِفَـــاحِ، وذا مُنَـــاهُ رَأَى مَـــا قَـــد رَأَى مُوسَـــى بِطُـــوَّهْ
فبَـأْبِئْ[1] ثُـمَّ مـأمئ[2]، حِـينَ يُنْمَـى لـــدَى ذِكْـــرِ الأُمُومَـــةِ، والأُبُـــوَّهْ
فَلَـيْلِي- فِي التَّمَلْمُـلِ- مثْـلُ يَـوْمِي ومِـــثْلِي مَـــنْ تَمَلْمَـــلَ، أوْ تَـــأَوَّهْ
متَـى رُمْـتَ السُّـلُوَّ أبَـى فُـؤادٌ قـــد اعْدَمَـــهُ تَشَـــوُّقُهُ سُـــلُوَّهْ
غرامِي- في الفُشُوِّ- كمثْلِ شوْقِي تـرَى- في العـالِمِينَ معًـا- فُشُـوَّهْ
عـذابي- في المَحَبَّـةِ- قـد حَـلَا لِي ومُـــــــرُّ الهَجْـــــــرِ...
بَـــدِيعُ الحُسْـــنِ إنْ يزْنـــو رُنُـــوًّا يَغَـــارُ الظَّبْـــيُ مُحْتَقِـــرًا رُنُـــوَّهْ
إذا مَـا افْـتَرَّ تُبْصِـرُ عَـنْ شَـتِيتٍ سَـنَى بَـرْقٍ، وفِي شَـفَتَيْهِ حُـوَّهْ
مَـــدِيحُ مُحَمَّـــدٍ أعْيَـــا بحصْـــرٍ جميـــعَ الكـــوْنِ؛ عـــامِرَهُ، وَدَوَّهْ
فـــلا- بِـــالنَّثْرِ- يَبْلغُـــه بليـــغٌ ولا- بالشِّـــعْرِ- مَشْـــهُورٌ، مُفَـــوَّهْ
أأحْمَـــدُ، قـــد أتيـــتُ، عـــلى اذِّلَالٍ بـــلا حـــوْلٍ، أتيـــتُ، ولا بِقَـــوَّهْ
أغثْنِـــي، يـــا ابْـــنَ آمِنَـــةٍ، فـــإنِّي مـــنَ الحـــوْبِ الكبـــيرِ بقعْـــرِ هُـــوَّه

---

[1]- **البأبأة:** قَول الْإِنْسَان لصاحبه: بِأبي أَنْت، وَمَعْنَاهُ: أفديك بِأبي. تهذيب اللغة.

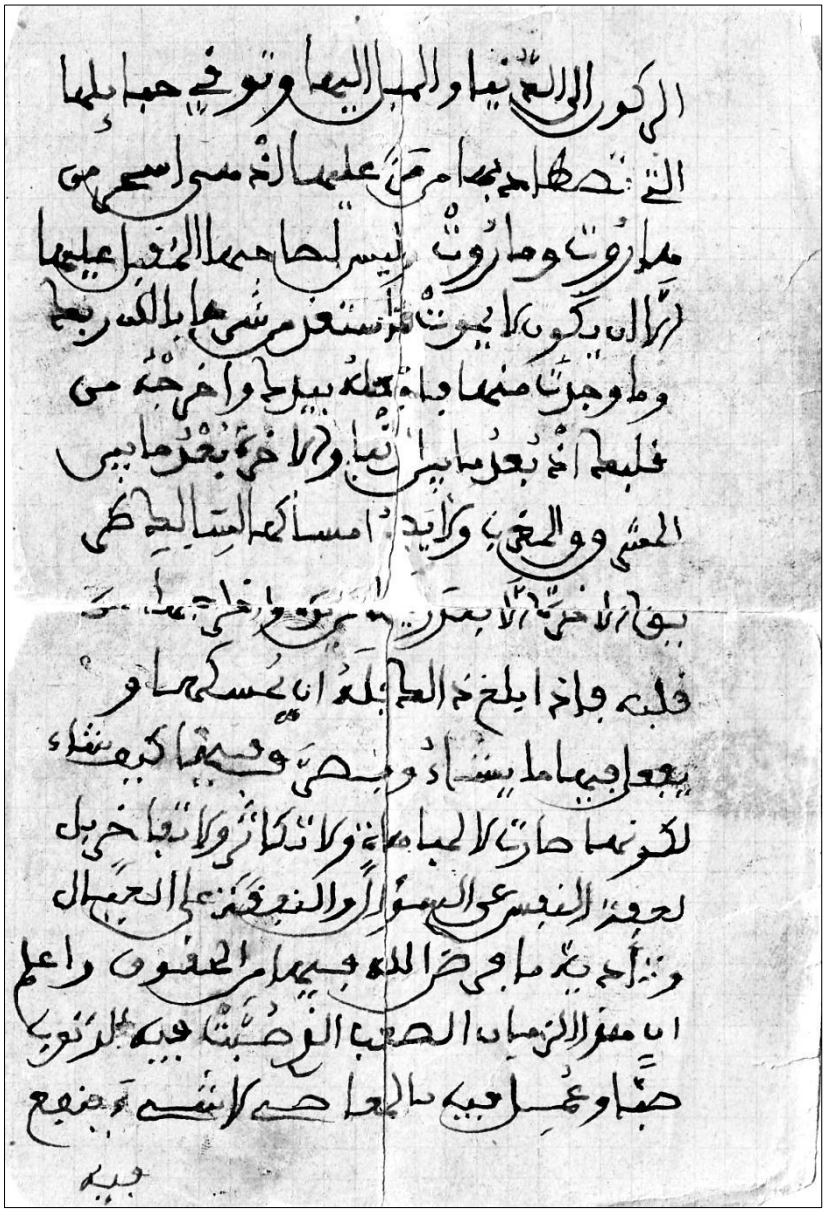
[2]- على القياس نفسه بالنسبة للأم.

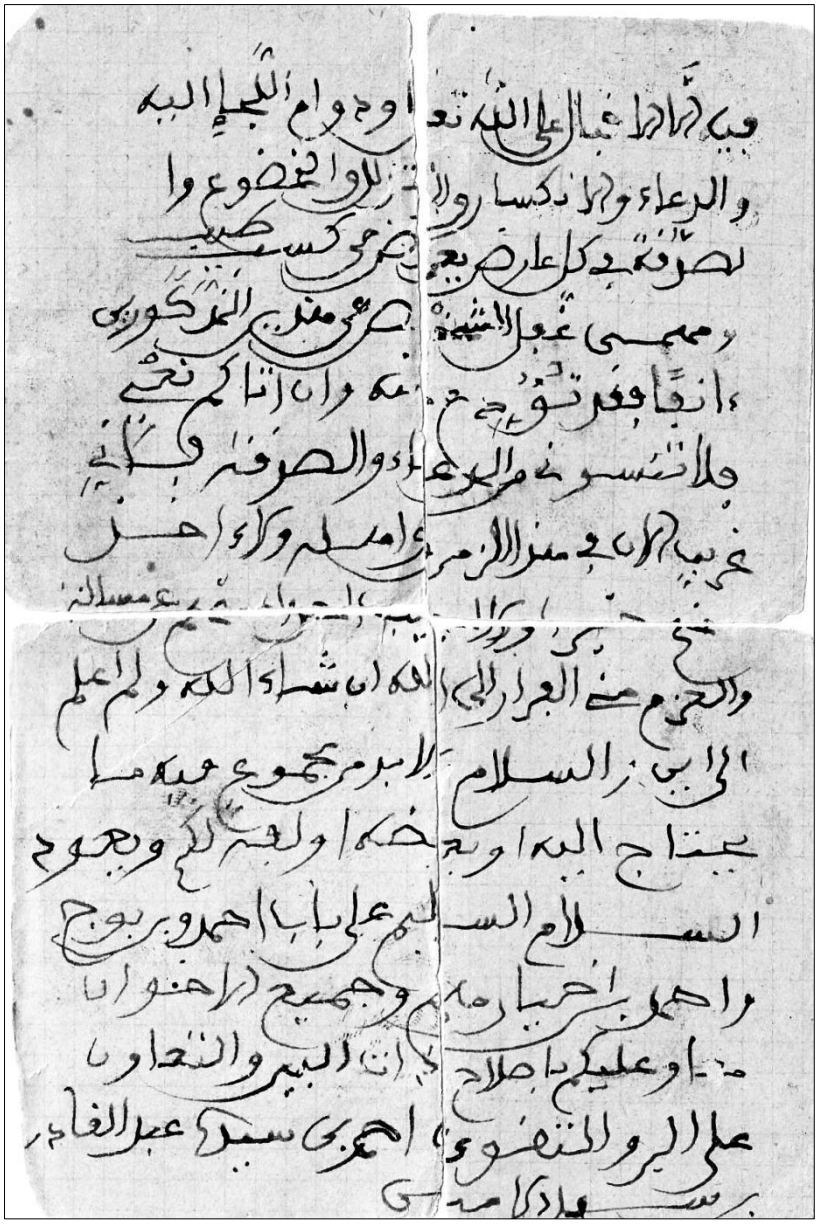
تاسعـــا

بعض رسائل الشيخ أحمد ولد آدب

1- رسالة إلى سيد الامين (خ) بن سيد احمد بن سيد الامين







«**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمدُ لله الذي لا يَنْسَى ولا يَغيب، **والصلاة** والسلام على النبِيِّ الحَبيب، وآله وصحْبه وتابعيهم بإحسان إلى اليوم العصيب.

هذا وإنه بالسلام التام، الطيِّب العام، والرحْمة والبَرَكَةِ والإكْرام، من **عبْد مَوْلاهُ الفقير** إليْه، المُعَوِّلِ فِي كُلِّ الأمُور عليْه: **أحمد بن سيده عبد القادر**، إلى اللبيب الأريب في المَوارِد والمَصادِر، الحاذق الفَطِين، ذِي السَيْبِ في شُهْبِ السِّنِين، أعْني:

سِيد الأمين بن سيد أحمد بن سيد الأمين، وقانا اللهُ – وإياهُ– كيْدَ اللَّعِين، وجَعَلَنَا بالدِّين منَ المُعْتَنِين، **وإنَّه، بحمْدِ الله إليْكَ**، الذى لا إله إلا هو، **والوَصِية لنفْسي ولكَ بتقْوَى الله** العظيم، **وعدَمِ الرُّكُونِ إلى الدنْيا** والميْلِ إليْها، وتَوَقِّي حَبَائِلها التي تصْطادُ بها مَنْ مَرَّ عليْها، **إذ هِي أسْحَرُ** منْ **"هَارُوت"** و**"ماروت"**، وليس لصاحِبها المُقْبِلِ عليْهاإلا أنْ يَكونَ لا يَمُوتُ، **واسْتعِذْ منْ شرِّها** بالله ربِّكَ، **وما وَجَدْتَ مِنْهَا فاجْعَلْهُ بيدِكَ، وأخْرجْه من قلْبِكَ**، إذْ **بُعْدُ** مَا بيْن **الدنْيا والآخِرة**، بُعْدُ ما بيْن **المَشْرق والمَغْرب**، ولا يَصِحُّ إمْساكُها لسَالكِ طريقِ الآخِرَة، إلا بعْد القدْرة على إمْسَاكها فِي يَدِه وإخْرَاجِها منْ قلْبِه، فإذا بَلَغَ ذلك، فلَهُ أنْ يُمْسِكَها، وَيفْعَلَ فيها ما يشاءُ، ويتصرَّفَ فيها كيْف شاءَ؛ لكوْنها صارتْ لا لِمُباهاةٍ، ولا تكاثُرٍ، ولا تفاخُرٍ، بل لعِفَّةِ النَّفْسِ عنِ السُّؤالِ، والنفقَةِ علَى العِيال، وتأديةِ ما فرَضَ اللهُ فيها من الحُقوق، **واعلمْ أنَّ هذا الزّمان الصَّعْبَ** الذي صُبَّتْ فيهِ الذُّنُوبُ صبًّا، وعُمِلَ فيهِ بالمَعَاصِي **لا يَنْفَعُ فيه إلا الإقْبال على الله** تعالى، ودوام اللُّجُوء إليْه، والدُّعاء، والانْكسار، والتذلُّل، والخُضوع، والصَّدَقَةِ فِي كلِّ عارضٍ يعْرِضُ من كسْبٍ طيِّبٍ، ومَهْمَا غفلَ الشَّخْصُ عن هذيْن المَذْكورَيْن آنفا فقد تُوُدِّعَ منْه.

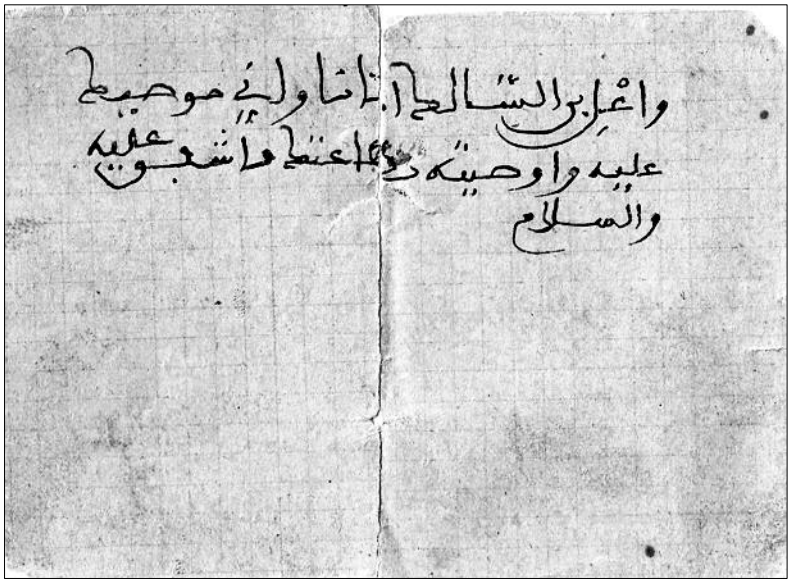
وانْ أتاكمْ نعْيِي فلا تنْسَوْنِي من الدُّعاء، والصدَقة، **فإنِّي غريبٌ الآنَ** في هذا الزمَنِ وأهْلِه، ولا آخذ منْهم خَبَرا، ولا أجِيبُ أحَدا منْهمْ عنْ مَسْأَلَة.

ولا بُدَّ من مَجْمُوعٍ فيه ما يُحْتاجُ إليْه أوْ بعْضُه **أؤلفُه لكم**.

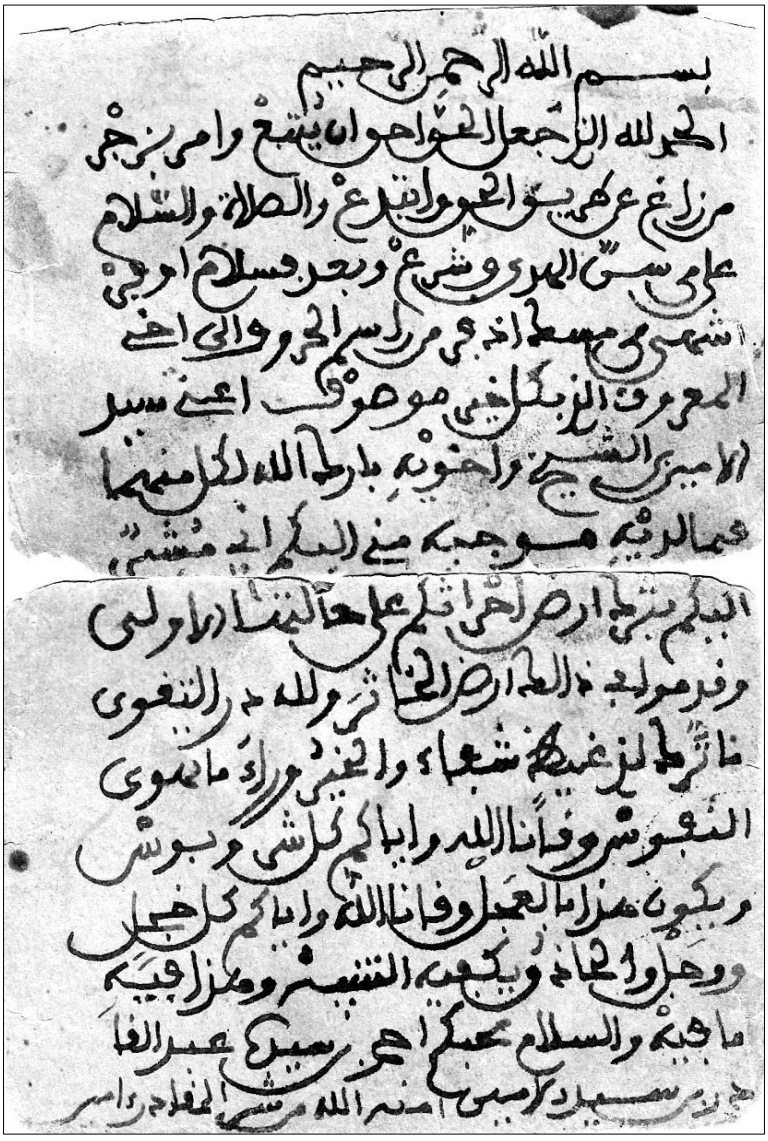
ويَعُودُ السلامُ السليمُ إلى بابَ أحمدو **بن بوج**، وأحْمَد **بن أخْيارهم**، وجميع **الإخوان** معًا **وعليكمْ بإصْلاح ذاتِ البَيْنِ، والتعاوُنُ على البِرِّ والتقْوى**.

أحمد بن سيده عبد القادر بن سيد الأمين

واعل **بن السالك** أتانا، وإنِّي **مُوصِيك عليْه، وأوْصيتُه بطاعَتِك**، فأشفقْ عليْه، والسلام».



2- رسالة إلى سيد الامين بن الشيخ[1] وأخويه



[1]- بن الشيخ (بن أنّ) من كبراء أهل الأزرق الكنتيين.

«**بسم الله** الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحقَّ أحقَّ أنْ **يُتَّبَع**، وأمَرَ **بَزجْرِ منَ زاغَ** عن طريق الحقِّ وابْتَدَع، **والصلاة والسلام** على من سنَّ الهُدى وشَرَع.

وبعد؛

فسَلامٌ أوْفَر، أشْهى من مِسْكٍ أذْفَر، **من راسمِ الحُروفِ**، إلى **أخي المَعْرُوف**، الذي بكل خيْرٍ موْصوف؛ أعْنِي **سِيدَ الأمِين بن الشيْخ وأخَوَيْهِ**، باركَ اللهُ لكلٍّ مِنْهُما فيما لديْه.

مُوجِبُه منِّى إليكم، أنِّى **مُشِيرٌ إليْكمْ بترْكِ أحْرَائِكِمْ علَى حَالَتِهَا الأولى**، وقَدِّمُوا في ذلك أرْضَ "الخَاثرَ". **ولله دَرُّ التقْوى ما تركَ لِذِي غيْظ شِفاءً**، والخيْرُ وراءَ مَا تهْوَى النُّفُوس، وقانَا الله- وإيَاكمْ- كلَّ شرٍّ وبُوس، ويكونُ هذا بالعَجَل، وقانَا الله- وإياكمْ- كلَّ خَجَلٍ ووَجَل، **والحاذقُ يكفِيه التنْبِيه**، وهذا فِيهِ ما فِيه.

والسلام.

محبكم: **أحْمد بن سيِّده عبد القادر** بن سيد الأمين، أمَّنَه الله من شرِّ المَقادِيرِ، آمين.

استدراك خير:

وإذا أتاكم الكتابُ فليكتبْ لِي **سيد الأمين** كتابا فيه أنَّه قطعَ نَظَرَهُ من ذلك العَمَلِ، وأنَّه أثْبَتَ كلَّ أحدٍ فِي حَرْثِهِ القَدِيمِ، أو بِعَدَمِ قبولِ ذلك، ويكونُ رَدُّ الجَواب بالعَجَل.

وكتبه كاتبُ أعْلاه، وما بِمُحَوَّلِه».

3- رسالة إلى الشيخ سيدي باب

«**بسم الله** الرحمن الرحيم، **الحمد لله** حق حمده، **وصلى وسلم** على نبيه وجنده، **والسلام عليكم** على قدر علو مقامكم ومجده، **إلى شيخنا الشيخ سيدي** من **العبد الفقير** الحقير الكسير الأسير: **أحمد بن سيدي عبد القادر** بن سيد الأمين.

أما بعد، سيدي، لازالت تهشُّ إليكمْ النِّعَم الجليلة، ويبشُّ ويَتَنَسَّمُ نحْوكمْ نسيمُ السعْد ويتجسم، ويتوسَّم وجُوهكمْ ناظرُ الودِّ ويتبسَّم

فاعلم، سَيِّدي- وإنْ كنْتَ الغَنِيَّ عن الإعلام، بما أطلعكَ الله عليه من خفايا الأنام- **أنِّي**، وإنْ عاقت **العوائقُ عن القدُوم**، صَحَّحْتُ **الزيارةَ بالمَعاني** دونَ الرُّسُوم،

ومن أجْل ذلك أطلُب منكمْ **الجمْع بيْن الضّرَّتيْن**، والقِرَانَ بيْنَ **الحَسَنَتَيْن**، والحُصولَ على كِلْتا **السعادَتَيْن**، والفوْزَ بكلا **الفَخْريْن والعِزَّتَيْن**، ما **لا يُوصلُ إليه**، ولا يُحْصل عليه، **إلا بمحْض فضْلِ الله** وعِنايَته، **وبركة التعلق بخاصَّتِه** من أهْل وُدِّهِ وولايَتِه.

ثم **ليكنْ في كريم عِلْمِكَ أيها الأكْرمُ** الأرْحم، الأرفق، الأَرْأَف الأعطف الأشفق، **أني طرحتُ نفْسي بين يديْكَ**، وألقيْت مَقاليدَ أمُوري إليْك، إذ (النَّبِيُّ أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم)، هذا، **ومُرَادِي لَفْتَةٌ صَمَدِيَّة**، ممَّنْ قُدِّسَ في أزَل الأزليَّة، برحِمة الرحْمانية... **تنيرُ صدْرِي، وتُنِيفُ قدْري**، وتبلِّغني من كلِّ خيْر، ما دريْتُ وما لا أدْري».

الرياحي:

البُعْـدُ لـيس لـه عـلَى أهْـلِ الـولا ... حُكْـم، وهـلْ أمْـر الولايـة يُعقـلُ
مـا عـاقَ أصْـحَمَةَ النَّجـاشِيِّ بعْـدَه ... عـنْ أنْ تـوَلَّاهُ الرَّسُـولُ الأفْضَـلُ

وقد قلت:

أغِيثــوا، مَــنْ لكــمْ عِــزٌّ وجَــاهُ قــريحَ القلْــب، شــوْقكمُ وَجَــاهُ
تُقلِّبُــه الهُمُــومُ حَلِيــفَ شَــوْقٍ يُصَــيِّرُهُ كمَسْــلوبٍ نَجَــاهُ
سَــألْتُ وِصــالكمْ ربًّــا رحِــيمًا كــريمًا، لا يَخِيــبُ مَــنْ رَجَــاهُ

والسلام عليكم ما تعاقبتْ حرَكاتُ العالمِ وسكناتُه.

أيُّهــا الغــائبونَ عنَّــا، وإنْ كنــتْم لِقَلْبِــي بــذكركمْ حيْرانــا[1]

[1] – هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكتته من كتاب: **الأخبار** "المدون"، ص 105.

المؤلف في سطور

أدي ولد آدب -شاعر- وباحث موريتاني (دكتوراه في اللغة العربية والأدب).
له حوالي عشر مجموعات شعرية، نشرت منها وزارة الثقافة الجزائرية 2009م، ديواني:

1- **رحلة بين الحاء والباء.**

2- **تأبط أوراقا.**

3- **بصمة روحي**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2018.

ونشرت له بحوث ومقالات، كما نشرت له كتب:

1-"**الإيقاع في المقامات اللزومية للسرقسطي**"، نشرته دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة، 2006م.

2-"**المفاضلات في الأدب الأندلسي/ الذهنية والأنساق**"، نشر 2015 من قبل المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة.

3- **تأويل رؤياي: أطروحات صغيرة في الأدب والثقافة**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط 1، 2019م، (يضم حوالي 150 مقالا).

وأخيرا سلسلة: "**أدبيات أهل آدب**":

1- **أهل آدب: سلالة الشعر وبيت القصيد**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

2- **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

3- **سيدي ولد آدب: رمز الفتى الكنتي، فارس المدفع والقلم**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

4- **الشيخ أحمد بن آدب: شيخ المشايخ وقطب الشعراء**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

5- **خديجة "دَيَّه" بنت سيدي بن آدب: خنساء شنقيط**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط 1، 2020.

وفي الأفق سلاسل أخرى، إن

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال
483 الوحدة الرابعة، الداوديات - مراكش – المغرب - 59 73 30 24 05